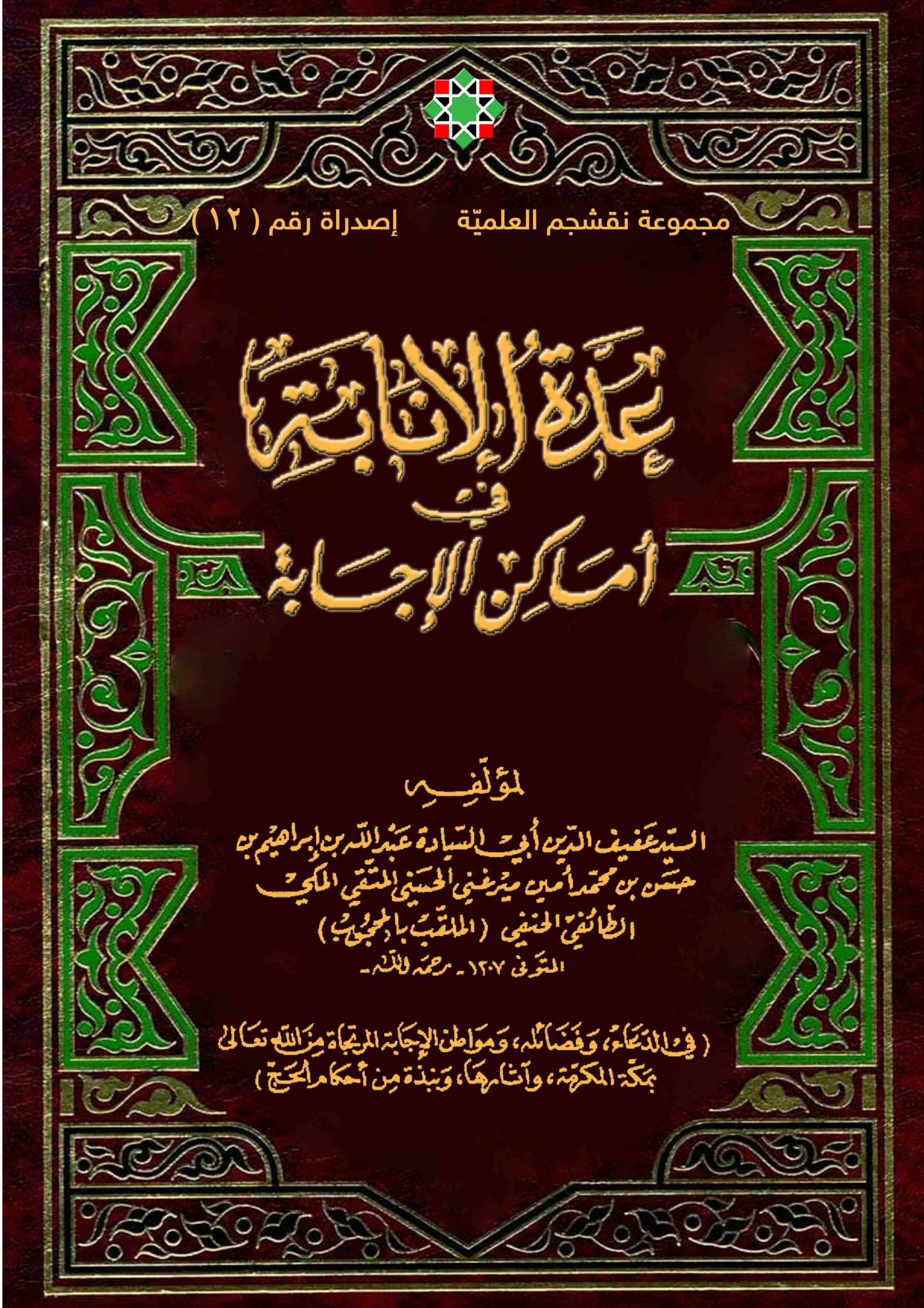

مجموعة نقشجم العلميّة
إصدراة رقم (١٢)
عدة الإنابة
في
أماكن الإجابة
لمؤلفه
السيد عفيف الدين أبي السيادة عبد الله بن إبراهيم بن
حسن بن محمد أمين ميرغني الحسيني المتقي المكي
الطائفي الحنفي (الملقب بالمحجوب)
المتوفى ١٢٠٧ - رحمه الله -
(في الدعاء، وفضائله، ومواطن الإجابة المرتجاة من الله تعالى
بمكة المكرمة، وآثارها، ونبذة من أحكام الحج)



لمؤلفه

السيد عفيف الدين أبي السيادة عبد الله بن إبراهيم بن
حسن بن محمد أمين ميرغني الحسيني المتقي المكي
الطائفي الحنفي (الملقب بالمحجوب)
المتوفى ١٢٠٧ - رحمه الله -

(في الدعاء، وفضائله، ومواطن الإجابة المرتجاة من الله تعالى
بمكة المكرمة، وآثارها، ونبذة من أحكام الحج)

ربيع الأول ١٤٤٠هـ - نوفمبر ٢٠١٨م

يمكنكم مراسلتنا، عبر البريد الإلكتروني: ngshjm@yahoo.com
أو عبر صفحة مجموعة نقشجم العلمية، على الفيسبوك: facebook.com/ngshjm


بسم الله الرحمن الرحيم



خطبة الكتاب

الحمد لله الذي أسكننا في معدن أماكن الإجابة ، ومنّ علينا بطلب الدعاء ووعدنا بالاستجابة ، وجعلنا خير أمة وأنزل علينا كتابه.

والصلاة والسلام على عبده ونبيه الذي أسكنه طابة ، وعلى إخوانه النبيين والآل والصحابة ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبد يرجو منه الإنابة ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله شهادة مقر بالرسالة والإجابة ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله عدد ما أحاط به علمه وما أمطرت سحابة.

وبعد: فيقول الفقير إلى مولاه الغني ، المتحلي بالتقصير والخلق الدني ، عبد الله بن إبراهيم بن حسن مير غني ، الحسيني الحنفي ، ـ عامل الله الكل بلطفه الخفي ، وجعلهم ممن سما واصطفى ـ لما طالعت بعض شرح العالم العلامة الشيخ إدريس الشماع الشافعي ، على منظومة الشيخ عبد الملك العصامي ـ رحمهما الله تعالى ـ المسمى بالإنابة في أماكن الإجابة ، وكانت تلك المنظومة مقيدة بأوقات معينة ، كما ذكره الشيخ الإمام أبو بكر بن محمد بن الحسن بن النقاش رحمه الله تعالى ، وقد ذكرها كثير من علمائنا غير مقيدة ، كما رواه الشيخ الجليل سيد التابعين الحسن البصري رضي الله عنه ، عن النبي

صلى الله عليه وسلم ، كما ذكره الشيخ عبد الملك في آخر نظمه ، وقد كنت رأيت بيتين في ذلك غير مقيدين للشيخ الإمام والعالم الهمام عمر بن إبراهيم بن نجيم ، صاحب النهر الفائق شرح كنز الدقائق ، خطر لي أن أجمع عليهما بعض الفوائد ، وأذكر كل فائدة في محلها اللائق بها ؛ ليسهل به إدراكها وحفظها ، لكني رأيت عدة ما فيها خمسة عشر موضعا ، وقد أنهاها غيره من علمائنا إلى عشرين ، فنظمت الزيادة في بيت ، وألحقته بهما وشرحت الكل ، والبيتان والزيادة هما هذان :

دعاء البرايا يستجاب بكعبة ... وملتزم ، والموقفين ، كذا الحجر

طواف ، وسعي ، مروتين ، وزمزم ... مقام ، وميزاب جمارك تعتبر

منى ، ويمان ، رؤية البيت ، حجره ... لدى سدرة عشرون تمت بها غرر

وسميت ما جمعته بالكتابة : عدة الإنابة في أماكن الإجابة ، لكوني أذكر في سبيل كل محل بعض ما يناسبه من مسائل فقهية ، وأدعية مأثورة ومروية ، تتميما للفوائد وتحصيلا للعوائد.

مقدمة

[٣٢] [الدعاء وأحكامه] :

اعلم أن المقصود من بيان هذه الأماكن: الدعاء فيها ، فيحتاج إلى بيان:

١ ـ حقيقته. ٢ ـ وفضيلته. ٣ ـ وسببه.

٤ ـ وركنه. ٥ ـ وشرطه. ٦ ـ وسننه.

٧ ـ وآدابه. ٨ ـ ومحرمه. ٩ ـ ومكروهه.

١٠ـ وحكمه. ١١ـ والحكمة.

[٣٣] [حقيقة الدعاء] :

أما حقيقته في اللغة : الرغبة إلى الله تعالى ، وفي الاصطلاح : رفع الحاجات إلى رافع الدرجات ، وهو مشروع بالكتاب ، والسنة ، والإجماع.

[٣٤] [فضل الدعاء] :

وأما فضيلته : فقال صلى الله عليه وسلم : (الدعاء هو العبادة)، ثم تلا : (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)، وقال : (الدعاء مخ العبادة).

وقال : (الدعاء : مفتاح الرحمة ، والوضوء : مفتاح الصلاة ، والصلاة : مفتاح الجنة).

وقال : (الدعاء سلاح المؤمن ، وعماد الدين ، ونور السموات والأرض).

وقال : (لا يرد القضاء إلا الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البر). وقال : (لا يغني حذر من قدر ، والدعاء ينفع مما نزل ، ومما لم ينزل ، وإن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء ، فيعتلجان إلى يوم القيامة). وقال : (الدعاء ينفع مما نزل ومما لم

ينزل ، فعليكم عباد الله بالدعاء). وقال : (ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء) ، وقال : (من لم يسأل الله يغضب عليه). وقال : (من لم يدع الله غضب عليه). وقال : (لا تعجزوا في الدعاء فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد). وقال : (من سره أن يستجيب الله تعالى له عند الشدائد والكرب فليكثر من الدعاء في الرخاء).

[٣٥] [سبب الدعاء وركنه] :

وأما سببه : فكمال الافتقار إلى الواحد القهار.

وأما ركنه : فتوجه القلب إلى الله تعالى : بالصدق والإخلاص.

[٣٦] [شرط الدعاء وقبوله] :

وأما شرطه : فالنية والتمييز.

وأما شرط قبوله وإجابته : فما نظمه البدر بن جماعة في قوله:

شروط الدعاء المستجاب لنا ... عشر بها بشر الداعي بإفلاح

طهارة وصلاح معهما ندم ... وقت خشوع وحسن الظن يا صاح

وحلّ قوت ولا يدعى بمعصية ... واسم يناسب مقرون بإلحاح

[٣٧] [سنن الدعاء] :

وأما سننه: فرفع اليدين حذاء الصدر ، وبسط الكفين نحو السماء ، يفرج بينهما كما في (الدر المختار) ، وقال الملّا علي في شرح الحصن الحصين : والظاهر أن من الأدب أيضا ضم اليدين وتوجيه أصابعهما مع انضمامها نحو القبلة ،

وقد اختلفت الروايات في كيفية الرفع عنه صلى الله عليه وسلم، وذلك لاختلاف الحال. وفي البحر : الدعاء أربعة:

١ ـ دعاء رغبة يفعل كما مر.

٢ ـ ودعاء رهبة يجعل كفيه لوجهيه كالمستغيب عن الشيء.

٣ ـ ودعاء تضرع بعقد الخنصر والبنصر ويحلق ويشير بمسبحته.

٤ ـ ودعاء الخفية ما يفعله في نفسه.

وبدأته بالحمد والثناء والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وختمه بها ، ومسح اليدين على الوجه بعد الفراغ منه.

[٣٨] [آداب الدعاء] :

وأما آدابه فكثيرة ، منها : تحرّي الأوقات الفاضلة ـ كالسجود في النفل ، وعند الأذان والإقامة ، وتقديم الوضوء، والصلاة، واستقبال القبلة ، والجثو على الركب ، وتقديم التوبة والاعتراف بالذنب ، واجتناب الحرام مأكلا ومشربا وملبسا ، والتأدب ، والتمسكن ، والخشوع ، والخضوع ، وأن لا يرفع بصره إلى السماء ، وكشف يديه ، وتجنب السجع وتكلفه ، وأن لا يتغنى به ، وخفض الصوت ، والسؤال بالأسماء الحسنى والأدعية المأثورة ، والتوسل بالأنبياء والصالحين ، وجعل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، أوله ووسطه وآخره ، والختم بآمين و ﴿سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾ ، ويتخير الدعاء الجامع ، ولا يخص

نفسه بالدعاء، ويسأل بعزم ورغبة، ولا يستبطئ الإجابة، والإلحاح في الدعاء، مع رجاء الإجابة وعدم القنوط. قال صلى الله عليه وسلم: (ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل)، وقال صلى الله عليه وسلم: (إن الله حييّ كريم يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراوين)، وفي رواية: (خائبتين).

وقال سفيان بن عيينة: لا يمنعك من الدعاء ما تعلم من نفسك فإن الله أجاب شر الخلق إبليس إذ قال: (رَبِّ فَأَنْظِرْنِي).

والبداية بنفسه ثم أبويه، ومشايخه، والمؤمنين.

[٣٩] [ما لا ينبغي من الدعاء]:

وأما محرمه: فالدعاء بغير العربية في الصلاة، وسؤال العافية مدى الدهر، وخير الدارين، ودفع شرهما، والمستحيلات العادية كنزول المائدة. قيل: والشرعية، وألحق حرمة الدعاء بالمغفرة للكافر، لا لكل المؤمنين كل ذنوبهم، والدعاء بإثم أو قطيعة رحم، أو بأمر فرغ منه أو ما في معناه. كما في الدر المختار.

[٤٠] [مكروهات الدعاء]:

وأما مكروهه: فترك سننه، وفعل ما لا يليق به.

[٤١] [حكم الدعاء]:

وأما حكمه: فالإجابة إذا وجدت شروطها، قال في المدارك: ثم إجابة الدعاء وعد صدق من الله لا خلف فيه، غير أن إجابة الدعوة تخالف قضاء

الحاجة ، فإجابة الدعوة أن يقول العبد : يا رب ، فيقول الله : لبيك عبدي ، وهذا موعود لكل موجود مؤمن ، وقضاء الحاجة إعطاء المراد ، وذا قد يكون ناجزا ، وقد يكون بعد مدة ، وقد يكون في الآخرة ، وقد تكون الخيرة له في غيره. أهـ.

قال صلى الله عليه وسلم : (ما من مسلم ينصب وجهه لله تعالى في مسألة إلا أعطاها إياه إما أن يعجلها له وإما أن يؤخّرها له)، وفي حديث مناجاة السيد موسى عليه السلام : (وإن دعوني أستجبت لهم ، فإمّا أن يردها عاجلا ، وإمّا أن أصرف عنهم سوءا ، وإمّا أن أدخره لهم) ، وقد يكون تأخيرها لمحبّته تعالى لصوته ، أو ليداوم على الدعاء.

وذكر مكي : أن المدة بين دعاء زكريا عليه السلام بطلب الولد والبشارة أربعون سنة ، ومثله : ابن عطية عن ابن جريح ومحمد بن الضحاك : إن دعوة موسى على فرعون لم تظهر إجابتها إلا بعد أربعين سنة ، ولذا قال صلى الله عليه وسلم : (يستجاب لأحدكم ما لم يستعجل يقول : دعوت الله فلم يستجب لي) رواه الستة إلّا النسائي.

وحكى الغزالي عن بعض العارفين أنه قال : إني أسأل الله تعالى منذ عشرين سنة حاجة وما أجابني وإني لأرجو الإجابة.

[٤٢] [حكم الدعاء] :

وأما حكمه : فكونه شرع سببا يتوصل به إلى السعادة الأبدية ، والنجاة السرمدية.

ونفعه مما نزل ومما لم ينزل ، ورده للقضاء ، وتفريجه للهمّ والكرب ، وما أحسن ما قيل :

ما ضاق حال بعبد فاستعد له   عبادة الله إلّا جاءه الفرج
ولا أناخ بباب الله راحلة   إلا تدحرج عنه الهم والحرج

ولابن الجوزي رحمه‌الله تعالى :

إذا كثرت منك الذنوب فداوها   برفع يد في الليل والليل مظلم
ولا تقنطن من رحمة الله إنما   قنوطك منها من خطاياك أعظم
فرحمته للمذنبين كرامة   وغفرانه للمسرفين تكرم

وهو سلاح المؤمن : يهلك به عدوه ، ويحمي به صديقه.

ومما يعزى للإمام الشافعي رحمه‌الله تعالى :

أتهزأ بالدعاء وتزدريه   وما تدرى بما صنع الدعاء
سهام الليل لا تخطي ولكن   لها أمد وللأمد انقضاء
فيمسكها إذا ما شاء ربي   ويرسلها إذا نزل القضاء

[٤٣] [التفضيل بين الدعاء وتركه] :

فائدة : هل الدعاء أفضل ، أم تركه رضا بالقسمة الأزلية؟.

مال كثير من العلماء إلى الأول ، ومال آخرون إلى الثاني ، وفرّق بعضهم ، فقال : إن كان القلب منطلقا بالدعاء ومنشرحا له ومستهرا به ، فالدعاء أفضل ، وإن كان منقبضا عنه ، فالتّرك أفضل ، واختاره المحققون ، ويدلّ عليه قوله صلى الله عليه وسلم : (من فتح له في الدعاء منكم فتحت له أبواب الإجابة). وفي رواية : (أبواب الجنة) ، وفي أخرى (أبواب الرحمة).

[٤٤] [الجهر والسر في الدعاء] :

وهل الأفضل الدعاء بالجهر أم بالسر؟، الصحيح الثاني ، قال تعالى : (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) ، المجاوزين ما أمروا به في كل شيء من الدعاء وغيره ، وعن ابن جريج : الرافعين أصواتهم بالدعاء ، وعنه : الصياح في الدعاء مكروه وبدعة ، وقيل : هو الإسهاب في الدعاء ، وقال صلى الله عليه وسلم ـ فيمن جهر بالذكر والدعاء ـ : (إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا ، إنما تدعون سميعا قريبا ، إنه معكم أينما كنتم) .

وعن الحسن : بين دعوة السر والعلانية سبعون ضعفا.

[٤٥] [أوقات إجابة الدعاء] :

تتمة : الإجابة لها أوقات ، وأحوال ، وأشخاص ، وأماكن.

فمن أوقاتها : ليلة القدر ، ويوم عرفة ، وشهر رمضان ، ويوم الجمعة ، وعند جلوس الإمام على المنبر إلى أن يتم الصلاة ـ وهو الصحيح ـ ووقت

العصر منها وإليه ذهب المشايخ، (تتارخانية). وقيل: اليوم كله وليلتها كلها، وقيل: من حين تقام الصلاة إلى السلام، وقيل: آخر ساعة منه، وقيل: بعد طلوع الفجر قبل طلوع الشمس، وقيل: بعد طلوع الشمس، وذهب أبو ذر رضي الله عنه إلى أنها: بعد زيغ الشمس بيسير، وقيل: وقت قراءة الإمام الفاتحة إلى أن يقول: آمين، وقيل: غير ذلك إلى أزيد من ثلاثين قولا ذكرها القسطلاني في (لوامع الأنوار)، ونصف الليل الثاني، وثلثه الأول، وثلثه الأخير وجوفه، ووقت السحر، وساعة الجمعة أرجى ذلك، كذا قال ابن الجوزي.

وقال الملّا علي: وفيه نظر إذ لا دليل يظهر أنها أرجى من ليلة القدر، وكذا من يوم عرفة بعرفة.

ومن أحوالها: دبر الصلاة المكتوبة، وفي السجود، وينبغي أن يحمل عندنا على النفل، وعقب تلاوة القرآن لا سيما الختم، أي: من القرآن خصوصا من القارئ، وعند النداء بالصلاة، وبين الأذان والإقامة، وبعد الحيعلتين لمن نزل به كرب أو شدة، وعند الصف في سبيل الله، وعند التحام الحرب، وعند شرب ماء زمزم، والحضور عند الميت، وصياح الديكة، واجتماع المسلمين، ومجالس الذكر، وعند قول الإمام: ولا الضالين، وعند تغميض الميت، وإقامة الصلاة، ونزول الغيث، ورؤية الكعبة، وبين الجلالتين في سورة الأنعام.

[٤٦] [من يرجى قبول دعائه] :

ومن الأشخاص : المضطر ، والمظلوم ولو كان فاجرا أو كافرا ، والوالد إذا كان محقا ، والولد البار بوالديه ، والمريض ، والمسافر ، والصائم حتى يفطر ، وحين يفطر ، والإمام العادل ، والرجل الصالح ، والمسلم لأخيه بظهر الغيب ، والمسلم ما لم يدع بظلم أو قطيعة رحم ، أو يقول : دعوت فلم أجب ، ولله عزوجل عتقاء في كل يوم وليلة لكل عبد منهم دعوة مستجابة ، ودعوة الحاج لا ترد حتى يصدر أي يرجع.

[٤٧] [الدعاء باسم الله الأعظم] :

ومن قال : «لا إله ألا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين» جاء أنه اسم الله الأعظم ، الذي إذا دعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى.

وجاء هو : (اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت ، الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد). وجاء أنه : (اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الأحد ... إلى آخره).

وجاء أيضا هو : (اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت ، وحدك لا شريك لك ، الحنان المنان ، بديع السموات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا حي يا قيوم) .

وجاء : (وَإِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ واحِدٌ لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ) ، و (الم اللهُ لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ).

وجاء هو : اسم الله الأعظم في ثلاث : البقرة ، وآل عمران ، وطه. قال القاسم : فالتمستها أنه الحي القيوم.

وجاء أنه في قوله تعالى : (قُلِ اللهُمَّ مالِكَ المُلْكِ).

[٤٨] [الاختلاف في الاسم الأعظم] :

وقد اختلف العلماء في الاسم الأعظم هل هو معين أو لا؟ فقيل : غير معين بل ما دعوته به حال تعظيمك له وانقطاع قلبك إليه ، فما دعوت به في هذه الحالة استجيب لك ، لظاهر قوله تعالى : (أَمَّنْ يُجِيبُ المُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ)، والمشهور : أنه اسم معين يعلمه الله تعالى ويلهمه من يشاء من خواص عباده ، ثم اختلف القائلون بتعينه بحسب النظر ، والأخذ بالأثر ، وبحسب الكشف والإلهام فقيل : إنه (الله) وهو قول الجمهور ، ونسبه بعضهم لأكثر أهل العلم ، لكن كما قال القطب الرباني السيد عبد القادر الجيلاني : بشرط أن تقول : الله وليس في قلبك سواه. وقيل : إنه الحي القيّوم. وقيل : هو العليّ العظيم الحليم العليم ؛ وقيل : هو لا إله إلا الله ، أو لا إله إلا هو. وقيل : الحق. وقيل : ذو الجلال والإكرام. وقيل : أرحم الراحمين. وقيل ربّنا. وقيل : الوهّاب. وقيل : القريب. وقيل : السميع البصير. وقيل : سميع الدعاء. وقيل : خير الوارثين. وقيل : حسبنا الله ونعم الوكيل ، وقيل غير ذلك والله تعالى أعلم. وأيّا كان فالداعي به ممن يستجاب دعاءه.

[٤٩][معنى الأعظم] :

هذا وقد اختلف العلماء في معنى الأعظم هل هو بمعنى أفعل التفضيل أو بمعنى العظيم؟

فمال بعضهم إلى الأول ، وفضلوا بعض أسمائه تعالى على بعض ، ومال آخرون إلى الثاني ، وقالوا : لا يجوز التفضيل ؛ لأنه يؤذن باعتقاد نقصان المفضول عن الأفضل ، وأوّلوا ما ورد في ذلك على أن المراد بالأعظم : العظيم ؛ إذ أسماؤه كلها عظيمة.

[أماكن الإجابة]

وأما الأماكن فسيأتي الكلام عليها في النظم ، وهو ما قال رحمه‌الله تعالى ـ : دعاء البرايا ، أي : طلب حاجاتهم من الله تعالى ، والبرايا : الخلائق جمع برية ، بمعنى الخليقة ، أي : المخلوقة ، يستجاب ، أي : يقبل ويجاب بفضل الملك الوهاب ، قال تعالى : (وَإِذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعانِ)، وقال تعالى : (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) ، وقال : (فَيَكْشِفُ ما تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شاءَ) ، والإجابة تكون بطرق ، وتقدم بيانها.

[٥٠] [علامات الإجابة] :

ومن علاماتها : الخشية والبكاء ، وربما تحصل الرعدة والغيبة عن الوجود.

[٥١] [المستند في أماكن إجابة الدعاء عامة] :

واعلم أن الحسن ـ رضي الله عنه ـ ذكر الإجابة في هذه الأماكن ، والظّاهر أنه لا يقول ذلك إلا عن توقيف ؛ لأنه تابعي جليل بل سيد التابعين.

وقال الشيخ محمد بن علي علان في شرح الأذكار : عن جده عبد الملك بن علي ، إن الحسن البصري ، رفع ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن ثبت ذلك فيكفي في العمل به ، ولعلّه ثبت عند الشيخ عبد الملك العصامي أيضا ؛ لأنه ذكره في آخر نظمه المشهور ، وله شواهد فإن بعضها مذكور في أحاديث مرفوعة ، وقد ذكرها مطلقة عن الأوقات ، وتبعه في ذلك أكثر من ذكرها من مشايخنا ، وعليه جرى الناظم ، وقال الملّا علي قاري : والظاهر أن هذه الأماكن الشريفة موضع إجابة الدعوات المنيفة ، في الأزمنة والأحوال المخصوصة ، ويمكن حملها على عمومها. والله سبحانه أعلم ، وقيد النقّاش البعض ، ومشى عليه الشافعية ، وفضل الله لا يحصى ، وسأذكر ذلك كلما قيده بقيد ، تتميما للفائدة وتحصيلا للأكمل.

[٥٢] [وقت الإجابة في الكعبة]

بكعبة ، أي : بيت الله الحرام زاده الله شرفا وتعظيما ، أي : داخلها من غير قيد على قول الحسن ، وهو من فضل الله تعالى ؛ إذ هو الممكن في العادة ، وبقيد وقت العصر ، وكونه بين جذعته على ما ذكره النقّاش ، وهو غير مشير عادة ؛ إذا العادة في فتحه بكرة النهار ، وفي شرح الشيخ إدريس معناه : ويمكن ذلك في دخول الحجر ؛ لأنه كله من البيت أو ستة أذرع أو شيء منه ، لكن يرده شرط كونه بين جذعته ، وسيأتي أن الحجر مما يستجاب فيه الدعاء أيضا ، والبيت أعظم أماكن الإجابة وأفضلها ، وفضله لا يحصى ، فإنه سرّ الله في أرضه ، ووجهته لعباده ، وقبلة العالم بأسره ، وبقعته أفضل البقاع ، ما عدا ما ضم أعضاءه الشريفة بالإجماع [1] ، ولذا قال سبحانه ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾.

[٥٣] [وضع الله البيت] :

قال في المدارك : والواضع هو الله عزوجل ، والمعنى : وضع الله بيتا للناس ، أنه جعله متعبدا لهم ، فكأنه قال : إن أول متعبد للناس الكعبة ، وفي الحديث : أن المسجد الحرام وضع قبل بيت المقدس بأربعين سنة ، قيل أول من بناه إبراهيم ، وقيل : هو أول بيت حجّ بعد الطوفان ، وقيل : هو أول بيت ظهر للناس على وجه الماء ، عند خلق السماء والأرض ، وقيل : هو أول بيت بناه آدم عليه السلام في الأرض ، وقيل : أول بيت بنته الملائكة.

[٥٤] [المراد بأول بيت وضع] :

وعن علي رضي الله عنه أنه سئل أهو أول بيت وضع؟ فقال : كان قبله بيوت ولكنه أول معبد ، وهو عين القول الأول.

وقال تعالى : ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً﴾، أي مآبة ومرجعا للحجاج يتفرقون عنه ثم يثوبون إليه ، وقال تعالى : ﴿وَعَهِدْنا إِلى إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ أَنْ طَهِّرا بَيْتِيَ﴾ : من الأوثان والأنجاس والخبائث كلها .

وناهيك بهذه الإضافة المنوهة بذكره المعظمة لشأنه الرافعة لقدره ، وكفاه ذلك شرفا وفخرا ، وبها على سائر البقاع عظمة وقدرا.

[٥٥] [شرف البيت] :

وما أحسن ما قيل في هذا المعنى :

كفى شرفا أني مضاف إليكم   وأني بكم أدعى وأرعى وأعرف

وهي من السر في إقبال العالمين عليه ، وعكوفهم لديه ، قال تعالى : ﴿قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ﴾. أي : الكعبة أو وجهتها.

[٥٦] [جعل البيت قياما] :

وقال تعالى : ﴿جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرامَ قِياماً لِلنَّاسِ﴾. أي : قواما لهم في أمر دينهم ودنياهم ، وروي عن الحسن البصري أنه تلا هذه الآية ثم قال :

لا يزال الناس على دين ما حجوا البيت واستقبلوا القبلة ، وقيل : لو تركوه عاما لم ينظروا ولم يؤخروا ، وقال تعالى : ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾.

[٥٧] [الطواف بالبيت] :

المراد : طواف الزيارة الذي هو ركن باتفاق الأربعة ، قيل : هو مطاف أهل الغبراء ، كما أن العرش مطاف أهل السماء ، وقال صلى الله عليه وسلم : (إن هذا البيت دعامة الإسلام ، ومن خرج يؤمّ هذا البيت من حاج أو معتمر وزائر كان مضمونا على الله إن ردّه ردّه بأجر وغنيمة ، وإن قبضه أن يدخله الجنة). وقال عليه الصلاة والسلام : (لا تزال هذه الأمة بخير ما عظموا هذه الحرمة حق تعظيمها)، يعني الكعبة. وإذا ضيعوا ذلك هلكوا.

[٥٨] [حرمة البيت] :

ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة قال : (مرحبا بك من بيت ، ما أعظمك وأعظم حرمتك! وللمؤمن أعظم عند الله منك) رواه البيهقي .

[٥٩] [زفّ الكعبة] :

وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا كان يوم القيامة زفت الكعبة البيت الحرام إلى قبري ، فتقول : السلام عليك يا محمد ، فأقول : وعليك السلام يا بيت الله ما صنع بك أمتي؟ فتقول : يا محمد من أتاني فأنا أكفيه وأكون له شفيعا ، ومن لم يأتني فأنت تكفيه فتكون له شفيعا) أخرجه ابن مردويه والأصبهاني في الترغيب.

وعنه صلى الله عليه وسلم : (وعد الله تعالى هذا البيت أن يحجه كل سنة ستمائة ألف ، فإن نقصوا كملهم بالملائكة ، وإن الكعبة تحشر كالعروسة المزفوفة ، من حجها تعلق بأستارها حتى تدخلهم الجنة) ذكره ابن جماعة في منسكه.

وعن عمر رضي الله عنه : من أتى البيت لا ينهزه ، أي : لا يحمله غير صلاة فيه رجع كيوم ولدته أمه .

[٦٠] [زيارة الملائكة الكعبة] :

ويروى أن الملك إذا نزل إلى الأرض في بعض أمور الله تعالى ، فأول ما يأمره الله تعالى بزيارة البيت ، فينفض من تحت العرش محرما ملبيا حتى يستلم الحجر ، ثم يطوف بالبيت سبعا ويركع ركعتين ، ثم يمضي لما أمر به، وقيل : لمّا خلق الله السموات والأرض قال لهما : (ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ)، خلق فيهما كلاما ونطقا ، فنطق من الأرض موضع الكعبة ، ومن السماء ما بحيالها ، وظاهره النطق بلسان المقال ، وقيل ينزّل الطاعة منها منزلة القول.

[٦١] [خلق الكعبة] :

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : الكعبة خلقت قبل الأرض بألفي عام ، قيل : وكيف خلقت قبل الأرض وهي من الأرض؟ قال لأنه كان عليها ملكان يسبحان الله بالليل والنهار ألفي سنة ، فلما أراد الله أن يخلق الأرض دحاها من تحت الكعبة.

وقال الثعلبي : خلق الله جوهرة خضراء ثم نظر الله إليها بالهيبة فصارت ماء ، فخلق الأرض من زبده ، والسماء من بخاره ، فكان أول ظاهر على وجه الأرض مكة. زاد غيره : ثم المدينة ، ثم بيت المقدس ، ثم دحى الأرض منها طبقا واحدا ، ثم فتقها بعد ذلك ، وكذلك السماء.

[٦٢] [**موضع البيت**] :

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : «لما كان العرش على الماء قبل أن يخلق السموات والأرض بعث الله تعالى ريحا هفافة فصفقت الماء فأبرزت عن خشفة في موضع البيت كأنها قبه ، فدحى الله الأرضين من تحتها ، فمادت ثم ماءت فأوتدها بالجبال ، وكان أول جبل وضع فيها أبو قبيس ؛ فلذلك سميت أم القرى» ، أي : أصلها ، والخشفة ـ بالخاء والشين المعجمتين والفاء ـ واحدة من الخشف ، وهي : حجارة تنبت في الأرض نباتا ، وروي بالعين عوضا عن الفاء ، أي : أكمة لاطئة بالأرض ، وقيل : هو ما غلب عليه السهولة وليس بحجر ولا طين ، وكل هذا دال على فضلها والكلام فيه يطول ، ولو لم يكن من فضلها إلا خلق سيد الخلائق فيها عليه الصلاة والسلام لكفى.

[٦٣] [**أصل طينة النبي صلى الله عليه وسلم**] :

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرة الأرض بمكة» ، يعني : الكعبة ، وهو لا ينافي أنه أخذ طينته من قبره

الشريف صلى الله عليه وسلم ؛ لأن الماء لما تموج ، رمى بالزبد إلى النواحي ، فغرقت جوهرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى ما يحاذي تربته بالمدينة.

[٦٤] [حصول الأمن] :

وله فضائل كثيرة وكرامات شهيرة ، في فضائله : حصول الأمن بدخوله أو دخول فنائه بدعوة إبراهيم عليه السلام ، حيث قال : (رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً)، على ما قيل أو من منذ خلق الله السماء والأرض ، وهو الصحيح ، وقال تعالى : (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً) ، وقال : (وَمَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً).

وعن عمر رضي الله عنه : لو ظفرت بقاتل الخطّاب ما مسسته حتى يخرج منه. ومعنى الأمن عندنا : أن من دخله من الصيد ، ومن [كان] متهما بقتل بقود ، أو ردّة ، أو زنا في الحل ، ثم التجأ إليه ، لم يتعرض له ؛ لأنه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ، حتى يضطر إلى الخروج ، وأما إذا فعل ذلك فيه أقيم عليه حدّه ، وقيل : معناه الأمن من النّار لقوله عليه الصلاة والسلام : (من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا).

ويحكى عن بعض العبّاد رضي الله عنه أنه قال : كنت أطوف ، فقلت : يا ربّ! إنك قلت : (وَمَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً) ، أين الأمن؟ فسمعت ملكا يكلمني ويقول : من النّار.

[٦٥] [من حجّ ثلاث حجج] :

ويحكى أن قوما أتوا سعدون الخولاني رضي الله عنه بالمنستير ، فأعلموه أن كتامة ـ وهي قبيلة بالبربر ـ قتلوا رجلا ، وأضرموا عليه النار طول الليل ، فلم

تعمل فيه النار ، وبقي أبيض البدن. فقال : لعله حج ثلاث حجج؟ قالوا : نعم. قال : حدّثت أن من حج حجة أدى فرضه ، ومن حج ثانية داين ربه ، ومن حج ثلاث حجج حرم الله سبحانه وتعالى شعره وبشره على النار.

وكانت العرب يغير بعضها على بعض ويختطفون الناس بالقتل ، وأخذ الأموال ، وأنواع المظالم إلا في الحرم.

[٦٦] [تضعيف الثواب] :

ومنها تضعيف الثواب فيه وفي بنائه ، ومنها حصول الأجر العظيم بالطواف به ، والنظر إليه ، والجلوس حوله.

[٦٧] [كراماته وتعظيمه في قلوب الناس] :

ومنها كراماته : كما هو مجرب أن مفتاح بابها إذا وضع في فم الصغير الذي ثقل لسانه عن الكلام تكلم سريعا.

ومنها بقاء بنائها المدد المتطاولة مع توالي الأمطار والأهوية.

ومنها : هيبتها وتعظيمها في قلوب الناس ، وكفّ الجبابرة عنها على مرّ الدهور والأعصار ، وإذعان نفوس العرب لتوقيرها بدون ناه ولا زاجر.

[٦٨] [عقوبة منتهكي حرمة البيت] :

روي أن الحجاج بن يوسف الثقفي لما نصب المنجنيق على [جبل] أبي قبيس ، والنيران ، واشعلت النار في أستار الكعبة ، جاءت سحابة نحو جدة يسمع فيها الرعد ، ويرى البرق ، فمطرت ، فلم يجاوز مطرها الكعبة والمطاف ، فأطفات النّار فأرسل الله عليهم صاعقة ، فأحرقت منجنيقهم فتداركوه.

قال عكرمة : أحسب أنها احترقت تحته أربعة رجال ، فقال الحجاج : لا يهولنّكم هذا فإنها أرض صواعق ؛ فأرسل الله صاعقة أخرى ، فأحرقت المنجنيق وأحرقت معه أربعين رجلا. وهذا كان مع عدم قصد الحجّاج للبيت ؛ لأن قصده إخراج ابن الزبير حيث تخفى به. فكيف بمن قصده أو رامه بسوء!! وقد وقع له ما هو أعظم من ذلك ، كقصة تبّع ، وأصحاب الفيل.

[٦٩] [هيبة البيت] :

ومن هيبته : أن الطير لا توقع عليه إلا للاستشفاء ، ولا تعلوه ، حتى إذا طارت فوقة وحاذت الكعبة انفرقت فرقتين كما حكاه كثير.

وذكر بعضهم : أن الطير إذا نزل على الكعبة : إما أن يشفى ، وإما أن يموت لحينه ، وهذا كان سابقا وأما الآن فلا ، ذكره غير واحد ، وكان ذلك لاختلاف الزمان وقرب الساعة ، كما هو مشاهد في أحوال بني آدم حولها من قلة الأدب ، وعدم الخشية.

[٧٠] [إنجاح مقاصد الملتجئ إليها] :

ومنها إنجاح مقاصد من التجأ إليها ، ودفع الشر عنه ، وتفريج كربه ، وذلك كثير لا يحصى.

وحكي أن امرأة لاذت بظالم ، فجاء ومدّ يده إليها فصار أشلّ ، وهذا سرعة عقاب من لم يتأدب في حضرتها. ويحكى أن رجلا كان في الطواف فبرق له ساعد امرأة فوضع ساعده عليه متلذذا به ، فلصق ساعدهما ، فقال له

بعض الصالحين : ارجع إلى المكان الذي فعلت فيه ، فعاهد ربّ البيت أن لا تعود بإخلاص وصدق نية! ففعل فخلي عنه ، وانفصل ساعده.

ويحكى : أن رجلا نظر إلى شخص في الطواف واستحسنه ، فسالت عينه على خده. وقال ابن حجر المكي ـ رحمه‌الله تعالى : أخبرت عن بعض من كان يحضر درسي وعليه من لوائح النّجابة وحفظ المسائل الغريبة ، ما كان الأمل فيه أن ينتج ويرتقي إلى مرتبة إفتاء أو تدريس ، أنّه عند تقبيل الحجر زاحمته امرأة لتقبّل فقبلها ، فابتلاه الله تعالى بحالة قطعته أولا عن العلم بالكلية ، ثم صيّر مسخرة وضحكة لكل من يراه ؛ بحيث يقضي كل من عرف حاله أولا وآخرا بالعجب العجاب من ذلك ؛ لجهلهم بهذا الفعل الصادر منه الذي كان سببا لمقته ، وذهاب لبّه ، ودناسة ثيابه ، وخبل عقله واختلاط كلامه ، ووصوله إلى حالة المبرسمين ومرافقته للمسرفين. أعاذنا الله من غضبه ، وفتنته وبلائه ومحنه ، بمنّه وكرمه! آمين.

[٧١] [دوام الطواف] :

وفيها أنه منذ خلقه الله تعالى ما خلا من طائف يطوف به من إنس أو جنّ أو ملك أو غير ذلك. وقال بعض أهل السلف : خرجت يوما في هاجرة ذات سموم ، وقلت : إن خلا البيت عن طائف ففي هذا الحين ، ورأيت المطاف خاليا ، فدنوت فرأيت حية عظيمة رفعت رأسها وهي تطوف حولها.

[٧٢] [طواف الحيوانات] :

وذكر أنه يوم قتل عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما بمكة اشتد الحرب واشتغل الناس فلم ير طائف يطوف بالبيت إلا جمل يطوف بها.

[٧٣] [طواف الجان بالبيت] :

وروي أن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما كان جالسا في جماعة من قريش بالمسجد الحرام بعد ما ارتفع النهار ، وقلصت الأفياء ، إذا هم ببريق أيم دخل من جهة باب بني شيبة ، فاشرأبت أعينهم إليه وأبدوه بأبصارهم ، فجاء حتى استلم الحجر وطاف بالبيت سبعا ، وهم يحصونه ، ثم ذهب إلى دبر المقام فركع ركعتين وهم ينظرون إليه ، فقال عبد الله بن عمرو لأصحابه : اذهب إلى هذا فحذره فأني أخاف أن يقتل أو يعبث به ، فذهب إليه حتى وقف على رأسه ، وحذره فأصغى إليه برأسه حتى استنفد كلامه ، ثم ذهب في السماء حتى غاب ، فلم ير.

والأيم : هي الحية الذكر ، وبريقه : لمعانه ، إلى غير ذلك مما روي من هذا النوع.

[٧٤] [اتساع الكعبة] :

ومنها اتساعه لداخليه مع كثرتهم وازدحامهم ، ولم يعلم أحد مات فيه من الزحام ، إلا ما وقع في سنة إحدى وثمانين وخمسمائة كما نقله المؤرخون : فإنه مات فيه أربعة وثمانون ، وقال ابن النقاش : والكعبة تسع ألف إنسان ، وإذا فتحت أيام الموسم دخلها آلاف كثيرة.

هذا وفضائل البيت لا تحصى ، وفضائله لا تستقصى ، فكم خلص الله به قوما ووصل آخرين وأفاض بواسطة أسراره الربانية على قلوب كثير من المحبين.

[٧٥] [أحوال العارفين] :

روي أن أبا الفضل الجوهري رحمه‌الله لما رأى الكعبة علاه حال فقال ـ وقد دخله الطرب ـ : هذه زيارة المحبوب فأين المحبون؟ وهذه أسرار القلوب فأين المشتاقون؟ هذه ساعة الاطلاع على الدموع فأين البكاؤون ، ثم شهق شهقة وأنشد :

هذه دارهم وأنت محب ... ما بقاء الدموع في الآماق

ثم بادر إلى البيت باكياً.

وقد روى عنهم كثير من هذا الباب ، وما ذاك إلا للسر الذي قصر ـ عن بيانه الإطناب ، وما أحسن قول العارف بالله تعالى السيد عبد الله با علوي رحمه‌الله تعالى:

عزيزة وصف حار فيه أولو النهى ... من العارفين أهل الندا والبصائر

[٧٦] [التسمية بالكعبة] :

وإنما سمي كعبة لتكعبه أي : تربعه ـ يقال : برد مكعّب إذا طوي مربعا ، أو لعلّوه ونتوئه ـ ومنه سمي الكعب كعبا لنتوئه ، وخروجه من جانب القدم ، يقال : تكعبت الجارية إذا خرج نهداها ـ أو لانفراده عن البيوت وارتفاعه ،

وكان الناس بيوتهم مدورة تعظيما للكعبة ، وأول من بنى مربعا حميد بن زهير ، فقالت قريش : ربع حميدا بيتا إما حياة أو موتا ، وكان عمر رضي الله عنه وغيره كانوا يأمرون بهدم ما ارتفع من البيوت عن الكعبة ؛ لأن الارتفاع من حيث هو مذموم ، ومن علامات الساعة ، وقد ورد : «من بنى فوق عشرة أذرع ناداه مناد من السماء يا عدو الله إلى أين تريد؟ » ، وهذه المحنة قد عمت فنسأل الله العفو.

[٧٧] [والتسمية بالبيت] :

وأما تسميته بالبيت الحرام ؛ فلأن الله حرّمه وعظّمه ، وحرم صيده وشجره ، أن يختلى خلاه ، وأن يعضد شجره ؛ وأن يتعرض له بسوء.

[٧٨] [التسمية بالعتيق] :

واختلف في تسميته بالعتيق : فقيل : لأن الله أعتقه من الجبابرة ، فلم يظهر عليه جبار ، وقيل لقدمه ؛ لأنه أول بيت وضع ، والعتيق : القديم ، وقيل : لأنه كريم على الله لم يجر عليه ملك لأحد من خلقه ، فلا يقال بيت فلان وإنما يقال بيت الله ، وقيل : لأنه أعتق من الغرق ؛ لما أنه رفع في زمن الطوفان ، وقيل : لشرفه سمي عتيقا ، وقيل : لأن الله تعالى يعتق فيه رقاب المؤمنين من العذاب ، وقيل : لأنه يعتق زائره من النار ، وهو قريب من الأول ، وقيل غير ذلك ، قال ابن جماعة : والأصح الأول ؛ لأن الترمذي رواه من حديث الزبير ، وقال : إنه حسن غريب.

[٧٩] [دخول البيت] :

تتمة: يستحب دخول البيت عند الأربعة إذا لم يؤذ أحدا وإلا فيحرم ، كما في المضمرات. ويستحب الصلاة فيه والدعاء ، ويدخله خاضعا خاشيا حافيا ، معظما مستحييا ، لا يرفع رأسه إلى السقف ، ويقصد مصلّى النبي صلى الله عليه وسلم.

[٨٠] [ما يفعل بداخل الكعبة] :

وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا دخلها مشى قبل وجهه وجعل الباب قبل ظهره ، حتى يكون بينه وبين الجدار الذي قبل وجهه قريب من ثلاثة أذرع ، ثم يصلي يقصد مصلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وإذا صلّى وضع خده على الجدار ـ رحمه الله ـ واستغفر.

[٨١] [الأدعية بداخل الكعبة] :

ثم يأتي الأركان فيحمد الله تعالى ويستغفر ، ويهلل ويكبر ويسبح، ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ، ويدعو بما شاء من الأدعية طلب الجنة بلا حساب ، والشوق إلى لقاء الملك الوهاب ، ويتجنب البدع ، وينبغي أن يقول : ﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ ، ويقول : اللهم كما أدخلتني بيتك فأدخلني جنتك ، اللهم يا رب البيت العتيق أعتق رقابنا ورقاب أبائنا وأمهاتنا من النار ، يا عزيز يا جبار ، اللهم يا خفي الألطاف آمنا مما نخاف ، اللهم إني أسألك من خير ما سألك منه نبيّك محمد صلى الله عليه وسلم ، وأعوذ

بك من شر ما استعاذك منه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، ربنا تقبّل منا إنك أنت السميع العليم ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

[٨٢] [فضل دخول الكعبة] :

ولدخول الكعبة ثواب عظيم وفضل جسيم : وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من دخل البيت فصلّى فيه ، دخل في حسنة وخرج من سيئة مغفورا له) ومثله عن ابن عمر رضي الله عنهما ، وفي رسالة الحسن البصري عنه صلى الله عليه وسلم : (من دخل الكعبة دخل في رحمة الله عزوجل وفي حمى الله عزوجل وفي أمن الله عزوجل ومن خرج خرج مغفورا له) ، وفي رواية عن مجاهد : (يخرج معصوما فيما بقى) نقله ابن جماعة ، ثم قال : يحتمل أنه يريد بذلك العصمة من الكفر ، فتكون له البشارة لمن دخله بالموت على الإسلام.

[٨٣] [فضل النظر إلى الكعبة] :

ويستحب الإكثار من النظر إليه ؛ لأنه عبادة ، وروى الحسن البصري رحمه الله تعالى في رسالته أنه صلى الله عليه وسلم قال : (من نظر إلى البيت إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وحشر يوم القيامة من الآمنين) ، وفيها أنّه صلى الله عليه وسلم قال : (من نظر إلى البيت نظرة من غير طواف ولا صلاة كان عند الله عزوجل أفضل من عبادة سنة بغير مكة صائما وقائما وراكعا وساجدا).

[٨٤] [الجلوس إلى القبلة] :

وفيها أيضا : أنه صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال : (من جلس إلى القبلة ساعة واحدة محتسبا لله عزوجل ، كان له كأجر الحاج والمعتمر ، والمرابط ، والقائم ، وأول ما ينظر الله تعالى لأهل الحرم ، فمن رآه مصليا غفر له ، ومن رآه قائما غفر له ، ومن رآه قاعدا مستقبل القبلة غفر له).

[٨٥] [تتنزل الرحمات حول البيت] :

وروي عن ابن عباس رضي‌الله‌عنهما عنه صلى‌الله‌عليه‌وسلم أنه قال : (إن الله تعالى ينزل في كل يوم مائة وعشرين رحمة على هذا البيت ستون للطائفين وأربعون للمصلين ، وعشرون للناظرين) وهذا وإن كان ضعيفا فيعمل به في الفضائل كما عرف ، وعن ابن عباس رضي‌الله‌عنه : (النظر إلى الكعبة محض الإيمان) أخرجه الجندي.

وعن سعيد بن المسيب رحمه‌الله : «من نظر إلى الكعبة إيمانا وتصديقا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» ، وعن عطاء رضي‌الله‌عنه : «النظر إلى البيت الحرام عبادة ، والناظر له بمنزلة الصائم القائم الدائم المخبت المجاهد في سبيل الله تعالى».

[٨٦] [الجلوس في المسجد] :

وعن زهير بن محمد : «الجالس في المسجد ينظر إلى البيت ، لا يطوف ولا يصلي ، أفضل من المصلي في بيته لا ينظر إلى البيت» رواه الأزرقي.

[٨٧] [حكم الصلاة بالكعبة] :

فائدة : الصلاة في الكعبة صحيحة عندنا من غير كراهة بجماعة وغيرها ، كذلك من غير ساتر لكن مع الكراهة.

وما يقوله العامة من العروة الوثقى والمسمار الذي هو سرة الدنيا ، فلا أصل له ، قال الفاسي : «وهذان الأمران لا آثر لهما الآن في الكعبة».

[٨٨]

٢ـ [وقت الإجابة في الكعبة]

وملتزم ـ بضم الميم وفتح الزاي ـ ما بين الحجر الأسود والباب على ما عليه الجمهور ، وما ورد عن ابن الزبير رضي الله عنهما أنه دبر البيت ، ردّ عليه ابن عباس : بأن ذلك ملتزم عجائز قريش ويسمى المستجار.

[٨٩] [سبب التسمية] :

وسمى بذلك ؛ لأن الناس يلتزمونه في حوائجهم لتقضى ، ويسمى المتعوذ والحطيم عند الشافعية ، أي : بعضه.

[٩٠] [أعظم أماكن الإجابة] :

والمراد أنه مما يستجاب عنده الدعاء من غير قيد بوقت على قول الحسن ، وهو ألطف وأيسر ، وبقيد نصف الليل على ما قاله ابن النقاش. وفيه نوع كلفة ، وفضل مولانا لا يحصى ، وهو من أعظم أماكن الإجابة ، فقيل : [ما من أحد] دعا هناك على ظالم إلا هلك ، وقيل : [ما من أحد] حلف هناك كاذبا إلا عجلت عقوبته ، وقال في الشفاء : قال القاضي أبو الفضل : قرأت

على القاضي الحافظ الفقيه أبي علي رحمهالله تعالى حدثنا أبو العباس العذري ، قال : ثنا أبو أسامة محمد بن أحمد بن محمد الهروي ، ثنا أبو الحسن بن رشيق ، سمعت أبا الحسن بن محمد ابن الحسن بن راشد ، سمعت أبا بكر محمد ابن إدريس ، سمعت الحميدي قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : سمعت رسول الله صلىاللهعليهوسلم يقول : (ما دعا أحد بشيء في الملتزم إلا استجيب له).

[٩١] [الحديث المسلسل بالإجابة في الملتزم] :

وقال ابن عباس : وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت رسول الله صلىاللهعليهوسلم إلا استجيب لي.

قال عمرو بن دينار : وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس إلا استجيب لي.

قال سفيان : وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت من عمرو إلا استجيب لي.

قال الحميدي : وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان إلا استجيب لي.

قال محمد بن إدريس : وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت من الحميدي إلا استجيب لي.

قال أبو الحسن محمد بن الحسن : وأنا ما دعوت الله بشيء في هـذا الملتـزم منذ سمعته من محمد بن إدريس إلا استجيب لي.

قال أبو أسامة وما أذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيئا ، وأنا فـما دعـوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من أسـامة إلا اسـتجيب لي مـن أمـر الدنيا ، وأنا أرجو أن يستجاب لي من أمر الآخرة.

قال العذري : وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا إلا استجيب لي.

قال أبو علي : وأنا قد دعوت الله بأشياء كثيرة وأرجو من سـعة فضـله أن يستجيب لي بقيتها.

وفي منسك ابن جماعة عن ابن عباس رضي‌الله‌عنهما أنه قـال : «مـن التـزم الكعبة ودعا استجيب له» ثم قال : «فيجوز أن يكون على عمومـه ، ويجـوزان أن يكون محمولا على الملتزم».

[٩٢][المستجار] :

واعلم أن المستجار : هو ما بـين الـركن الـيماني والبـاب المسـدود في دبـر الكعبة ، يحاذي الملتزم المذكور سابقا ، ويسمى المتعوذ أيضا ، وهو من أماكن الإجابة. ذكره في المنسك الكبير وغيره.

وعن معاوية رضي‌الله‌عنه : من دعا فيه استجيب لـه ، وخـرج مـن ذنوبـه كيوم ولدته أمه ، قال المحب الطبري : ومثل هذا لا يقوله إلا عن لسان النبوة،

وكان بعض السلف والخلف يلتزمونه ، منهم : عمر بن عبد العزيز وأيوب السختياني.

تتمة : اختلف مشايخنا في إتيان الملتزم بعد الطواف ، فقيل : يأتي إليه بعد الركعتين ، وقيل : قبلهما ، وقيل : بعد الصلاة والشرب من زمزم ، وهذا في غير طواف الوداع ، أما فيه فيأتي إليه بعد الشرب.

[٩٣] [صفة الالتزام] :

والالتزام مستحب عندنا ، وصفته : أن يضع صدره وخده الأيمن على الجدار ويرفع يده اليمنى واليسرى إلى جهة الحجر ، أو يرفع أحدهما ، أو يرفعهما مبسوطتين على رأسه على الجدار قائمتين ، ويتعلق بالأستار متضرعا خاشعا داعيا باكيا مكبرا مهللا ، مصليا على النبي صلى الله عليه وسلم.

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه : أنه طاف بالبيت ، واستلم الحجر ، وقام بين الركن والباب ، فوضع صدره ووجهه وذراعيه وكفيه وبسطهما بسطا ، وقال : كذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله.

[٩٤] [بعض الأدعية المأثورة] :

ومن دعائه : «يا واجد يا ماجد لا تزل عني نعمة أنعمت بها عليّ» ودعاء آدم عليه السلام ـ أخرج الأزرقي في تاريخه ـ أن آدم عليه السلام طاف بالبيت سبعا حين نزل ، ثم صلى تجاه الكعبة ركعتين ، ثم أتى الملتزم فقال : اللهم إنك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي ، وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي ، وتعلم ما في نفسي وما عندي ، فاغفر لي ذنوبي ، اللهم إني أسألك إيمانا يباشر قلبي ،

ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبت لي ، والرضا بما قضيت علي. فأوحى الله تعالى : يا آدم قد دعوتني بدعوات واستجبت لك ، ولن يدعوني بها أحد من ذريتك إلا كشفت همومه وغمومه ، وكففت ضيعته ، ونزعت الفقر من قلبه وجعلت الغنى بين يديه ، واتجرت له من وراء كل تاجر ، وأتته الدنيا وهي راغمة وإن كان لا يريدها.

ومن المستحسن : إلهي وقفت ببابك ، والتزمت بأعتابك ، وأرجو رحمتك وأخشى عذابك ، اللهم حرّم شعري وبشري على النار ، اللهم كما منعت وجهي عن السجود لغيرك فصن وجهي عن مسألة غيرك ، اللهم يا رب البيت العتيق أعتق رقابنا ورقاب آبائنا وأمهاتنا من النار ، يا كريم يا غفار ، يا عزيز يا جبار ، ويقول : (رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ).

[٩٥] ٣ ـ [موقف عرفة]

والموقفين ، أي : يستجاب الدعاء في الموقفين ، وهما : موقف عرفة ، وموقف مزدلفة.

أما موقف عرفة فيستجاب فيه الدعاء حال تلبسه بإحرام الحج ، وبعد الزوال إلى الصبح ، كذا قال الملّا علي في شرح الحصن الحصين ، وهو مقيد ، وقد ذكره كثير من علمائنا من غير تقييد ، وفضل الله عظيم ، وقال العصامي في نظمه : عند مغيب الشمس ، قال شارحه : لعله باعتبار الأكمل ، وإلا فيوم عرفة كله يستجاب الدعاء فيها كما ورد.

[٩٦] [تسمية عرفة] :

وسميت عرفات بذلك ؛ لأن إبراهيم عليه السلام عرف أن الحكم من الله فيه ؛ أو لأن جبريل عرّفه المناسك فيه ؛ أو لأن آدم وحواء تعارفا فيه بعد الهبوط إلى الأرض.

[٩٧] [إجابة الدعاء بعرفات] :

وهو من أجل أماكن الإجابة وأعظمها ، وكان صلى الله عليه وسلم يجتهد في الدعاء فيه ، حتى روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه دعا عشية عرفة لأمته بالمغفرة فاستجاب له إلا في الدماء والمظالم ، أخرجه ابن ماجه وهو ضعيف بالعباس بن مرداس ، فإنه منكر الحديث ساقط الاحتجاج ، كما ذكره الحفاظ ، لكن له شواهد كثيرة.

[٩٨] [فضل يوم عرفة] :

فمنها : ما رواه أحمد بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما كان فلان رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عرفة ، قال : فجعل الفتى يلاحظ النساء وينظر إليهن ، قال : فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : (إنّ هذا يوم من ملك فيه سمعه وبصره غفر له).

منها ما رواه البخاري مرفوعا : (من حج ثلاث حجج فلم يرفث ولم يفسق ، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه).

ومنها ما رواه مسلم في صحيحه مرفوعا : (إن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وإن الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وإن الحج يهدم ما كان قبله).

ومنها ما رواه مالك في الموطأ مرفوعا : (ما رؤي الشيطان يوما هو أصغر ولا أدحر ولا أغيظ منه في هذا اليوم ، وما ذاك إلا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام ، إلا ما رأى يوم بدر ، فإنه رأى جبريل يزع الملائكة).

[٩٩] [تكفير الذنوب] :

وهذا يقتضي تكفير الصغائر والكبائر ، ولو كانت من حقوق العباد ، وقد قال به جماعة من الشافعية كالشيخ ابن حجر العسقلاني وصنف فيه ، والشهاب الرملي وولده ، وقيده بأن يموت في أثناء النسك ولم يتمكن من ردّ المظالم ، وذكر القاضي عياض رحمه‌الله تعالى : أن أهل السنة أجمعوا على أن الكبائر لا يكفرها إلا التوبة ، فالحاصل أن المسألة ظنية وأن الحج لا يقطع فيه بتكفير الكبائر من حقوق الله فضلا عن حقوق العباد ، وإن قلنا بالتكفير للكل ، فليس معناه كما يتوهمه كثير من الناس أن الدّين يسقط عنه ، وكذا قضاء الصلوات والصيامات والزكوات ؛ إذ لم يقل أحد بذلك ، وإنما المراد أن إثم مطل الدين ، وتأخره يسقط بعد الوقوف بعرفة ، وإذا مطل الآن صار آثما ، وكذا إثم تأخير الصلاة عن أوقاتها يرتفع بالحج لا القضاء ، ثم بعد الوقوف بعرفة يطالب بالقضاء ، فإن لم يفعل كان آثما على القول بفوريته ، وكذا البقية على هذا القياس ، وبالجملة فلم يقل أحد بمقتضى عموم الأحاديث الواردة في الحج كما لا يخفى ، انتهى ملخصا من البحر الرائق.

[١٠٠] [أحكام الوقوف بعرفة] :

تتمة: الوقوف بعرفة أعظم ركني الحج عندنا.

وقدره: لحظة مطلقا في وقته ، ومكانه ، وبإحرامه ، ولو مارا وبأي حال كان.

ووقته : من زوال الشمس إلى طلوع فجر النحر.

ومكانه : عرفات كلها إلى عرنة ، وإحرامه بنية الحج والتلبية ، وما يقوم مقامها ، وليس القيام من شرط الوقوف ، ولا من واجباته.

وواجبه : أن لا ينفر من عرفة قبل الغروب.

[١٠١] [سنن الوقوف] :

ومن سننه : الاغتسال ، وتعجيل الوقوف بعد الجمع بين الصلاتين بها ، وأن يكون مفطرا لكونه أعون على الدعاء ، وأن يكون متوضئا ، وأن يقف على راحلته ، وأن يكون مستقبل القبلة وراء الإمام بالقرب منه إن كان ممن يتقرب به ، وأن يكون حاضر القلب ، فارغا عن الأمور الشاغلة عن الدعاء.

[١٠٢] [موقف المصطفى بعرفات] :

وأن يقف عند الصخرات السود موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلا فبقرب منه من غير إيذاء.

[١٠٣] [صعود جبل عرفة] :

وأما ما اشتهر عند العوام من الاعتناء بصعود جبل الرحمة الذي عليه القبة ، وترجيحهم له على غيره من عرفات ، فخطأ ظاهر ومخالف للسنة ، ولم يذكر أحد ممن يعتد به في صعود الجبل فضيلة تختص به ، بل له حكم سائر أراضي عرفات ، غير موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه أفضل ، إلا الطبري والماوردي فإنهما قالا : بالاستحباب ، قصد هذا الجبل الذي يقال له جبل الدعاء ، قالا : وهو موقف الأنبياء [صلوات الله وسلامه عليهم] ، وما قالاه لا أصل له ، ولم يرد فيه حديث صحيح ولا ضعيف ، كذا ذكر النووي في شرح المهذب.

[١٠٤] [ما يسن في الموقف] :

ومن السنة : أن يكثر الدعاء ، والتكبير ، والتهليل ، والتلبية ، والاستغفار ، وقراءة القرآن ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وليحذر كل الحذر من التقصير في شيء من هذا ، فإن هذا اليوم لا يمكن تداركه ، ويكثر من التلفظ بالتوبة من جميع المخالفات مع الندم بالقلب ، ويكثر البكاء مع الذكر ، فهناك تسكب العبرات ، وتستقال العثرات ، وترتجى الطلبات ، وموقف جسيم يجتمع فيه خيار عباد الله الصالحين وأوليائه المخلصين ، وأعظم مجامع الدنيا.

[١٠٥] [وقفة الجمعة] :

وقد قيل : (إذا وافق يومه يوم جمعة غفر لأهل كل الموقف ، إنه أفضل من سبعين حجة في غير يوم جمعة) ، كما ورد في الحديث الشريف.

فإن قيل : قد ورد أنه يغفر لجميع أهل الموقف مطلقا ، فما وجه تخصيص ذلك بالجمعة؟

قيل : لأنه يغفر يوم الجمعة بلا واسطة ، وفي غيره يهب قوما لقوم ، وقيل : إنه يغفر في وقفة الجمعة للحاج وغيره ، وفي غيرها للحاج فقط.

[١٠٦] [مغفرة يوم عرفة] :

فإن قيل : قد يكون في الموقف من لا يقبل حجه فكيف يغفر له؟ قيل : يحتمل أنه يغفر له ولا يثاب ثواب الحج المبرور ، فالمغفرة غير مقيدة بالقبول ، والذي يوجب هذا أن الأحاديث وردت بالمغفرة لجميع أهل الموقف ، ولا بد من هذا القيد والله أعلم. ا هـ.

[١٠٧] [ما يحذر في الوقوف] :

من المنسك الكبير : وليحذر كل الحذر من المخاصمة ، والمشاتمة ، والكلام القبيح أيضا في مثل هذا اليوم.

[١٠٨] [ما يشتغل به في الموقف] :

ويتوجه إلى الله تعالى بالقلب والقالب ، والظاهر والباطن ، ويشتغل بالأذكار والأدعية المأثورة ، وهي أولى وأفضل ، أو غيرها مما تيسر ولم تخالف الشرع.

[١٠٩] [أدعية مأثورة للموقف] :

وروى الطبراني في الأوسط ، أنه صلى الله عليه وسلم لما وقف بعرفات قال : (لبيك اللهم لبيك) ، ثم قال : (إنما الخير خير الآخرة). وفي رواية : (اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة) ، وروى مالك وغيره : (أفضل الدعاء يوم عرفة ، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت وهو حيّ لا يموت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير).

وأخرج ابن أبي شيبة عن علي كرم الله وجهه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أكثر دعائي ودعاء النبيين من قبلي بعرفة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا ، وفي بصري نورا ، اللهم اشرح لي صدري ويسّر لي أمري ، وأعوذ بك من وساوس الصدر وشتات الأمر ، وفتنة القبر ، اللهم إني أعوذ بك من شر ما يلج في الليل ، وشر ما يلج في النهار ، وشر ما تهب به الرياح).

وأخرج الترمذي ، وابن خزيمة ، والبيهقي عن علي رضي الله عنه قال : كان أكثر دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة : (اللهم لك الحمد كالذي نقول ، وخيرا مما نقول ، اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي ، وإليك مآبي ولك ربي تراثي ، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة

الصدر ، وشتات الأمر ، اللهم إني أسالك من خير ما تجيء به الرياح ، وأعوذ بك من شر ما تجيء به الرياح).

وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة (اللهم إنك ترى مكاني وتسمع كلامي ، وتعلم سري وعلانيتي ، ولا يخفى عليك شيء من أمري ، أنا البائس الفقير ، المستغيث المستجير الوجل ، المشفق المقر المعترف بذنبه ، أسألك مسألة المسكين ، وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير ، من خضعت لك رقبته ، وفاضت لك عيناه ونحل لك جسده ، ورغم لك أنفه ، اللهم لا تجعلني بدعائك شقيا ، وكن بي رؤوفا رحيما ، يا خير المسؤولين ، يا خير المعطين).

[١١٠] [المغفرة لأهل الموقف] :

وروى جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من مسلم يقف عشية عرفة بالموقف ويستقبل القبلة بوجهه ثم يقول : لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحي ويميت وهو على كل شيء قدير ، مائة مرة ، ثم يقرأ (قل هو الله أحد) مائة مرة ، ثم يقول : اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ، وعلينا معهم (مائة مرة) إلّا قال الله تعالى : يا ملائكتي ، ما جزاء عبدي هذا؟ سبّحني وهلّلني وكبّرني وعظّمني ، وعرفني

وأثنى عليّ ، وصلّى على نبيي ، اشهدوا عليّ يا ملائكتي أني قد غفرت له وشفعته في نفسه ، ولو سألني عبدي هذا لشفّعته في أهل الموقف). رواه البيهقي ، وقال : هذا متن غريب وليس في إسناده من ينسب إلى الوضع.

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قرأ قل هو الله أحد عشية عرفة ألف مرة أعطاه الله ما سأله) رواه أبو الشيخ وابن أبي الدنيا في كتاب الأضاحي ، وابن أبي عاصم والطبراني معا في الدعاء ، والبيهقي في الدعوات.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : ما من عبد ولا أمة دعا الله في كل ليلة عرفة بهذا الدعاء ـ وهي عشر كلمات ألف مرة ـ لم يسأل الله تعالى شيئا إلا أعطاه إياه إلا قطيعة رحم ، أو إرادة مأثم : (سبحان الذي في السماء عرشه ، سبحان الذي في السماء سلطانه ، سبحان الذي في الجنة رحمته ، سبحان الذي في القبر قضاؤه ، سبحان الذي في الهواء روحه ، سبحان الذي رفع السماء ، سبحان الذي وضع الأرض ، سبحان الذي لا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه) قيل له : أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال : نعم.

وروى ابن أبي شيبة موقوفا عن ابن عمر رضي الله عنهما : أنه كان إذا صلى العصر ووقف بعرفة يرفع يديه يقول : الله أكبر ولله الحمد ، الله أكبر ولله الحمد ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، اللهم اهدني بالهدى ونقني بالتقوى ، ـ وفي رواية أخرى ـ : واعصمني بالتقوى ، واغفر لي

في الآخرة والأولى ـ ثلاث مرات ـ اللهم اجعله حجا مبرورا وذنبا مغفورا ، ثم يرد يديه فيسكت قدر ما يقرأ الإنسان فاتحة الكتاب ، ثم يعود ويرفع يديه ويقول مثل ذلك حتى أفاض.

وأخرج الطبراني في الدعاء عن ابن عمر رضي الله عنهما عنه : كان يرفع صوته بالدعاء يقول : «اللهم اهدنا بالهدى وزيّنّا بالتقوى ، واغفر لنا في الآخرة والأولى ، ثم يخفض صوته يقول : اللهم إني أسالك رزقا طيبا مباركا ، اللهم إنك أمرت بالدعاء ، وقضيت على نفسك بالإجابة ، وإنّك لا تخلف وعدك ، ولا تنكث عهدك ، اللهم ما أحببت من خير فحبّبه إلينا ، وما كرهت من شيء فكرّهه إلينا وجنّبناه ، ولا تنزع منا الإسلام بعد إذ هديتنا».

[١١١] [**فضل الاشتغال بالذكر**] :

وأخرج البيهقي في الشّعب عن بكير بن عتيق ، قال : حججت فتوسمت رجلا أقتدي به ، فإذا سالم بن عبد الله في الموقف يقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله وحده ونحن له مسلمون ، لا إله إلا الله ولو كره الكافرون ، لا إله إلا الله ربنا ورب آبائنا الأولين. فلم يزل يقول حتى غربت الشمس ، ثم نظر إليّ وقال : حدثني أبي عن أبيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يقول الله تبارك وتعالى : من شغله ذكري عن مسألتي ، أعطيته أفضل ما أعطي السائلين).

قال الملّا علي قاري : وفيه إيماء إلى دفع إشكال مشهور ، وهو أنه صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال : (أكثر دعائي ودعاء الأنبياء من قبلي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له .. الخ) مع أنه ليس فيه دعاء ، وأشار إلى جوابه : بأن الله تعالى يعطي على هذا الثناء أفضل مما يعطيه أهل الدعاء ، وأجيب أيضا : بأن غرض الثناء هو : التعرض للدعاء ، بل هو أبلغ في مقام الاعتناء ، لكن يؤدي الأول المراد به مطلق الذكر : ما أخرجه ابن أبي شيبة ، عن صدقة بن يسار ، قال : سألت مجاهد عن قراءة القرآن يوم عرفة أم الذكر؟ قال بل قراءة القرآن ، ويؤيده ما روي عنه صلى‌الله‌عليه‌وسلم أنه قال : ([يقول الرب تبارك وتعالى] من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي الذاكرين والسائلين) يقول الفقير : ويمكن أن يجاب : بأن الذكر من الدعاء ، بل هو أعلى مرتبة الدعاء.

[١١٢][**تعريف الدعاء**] :

أما لغة : فظاهر ؛ لأنه الرغبة إلى الله تعالى كما في القاموس. وأما اصطلاحا : فكذلك ؛ إذ معناه : رفع الحاجات إلى رافع الدرجات ، وطلب قضائها منه تعالى ، والذاكر قصده بذكره رفع حاجته التي هي طلب زيادة حب الله تعالى وبقاء شهوده ، واتصاله بقربه ، والاستئناس به ، وإن ذكره لكونه أهلا لذلك ، فهو لا يخلو عن الافتقار أيضا وهذا قصد الكمّل ولذا قال : (دعائي ودعاء الأنبياء قبلي) ، والله سبحانه وتعالى أعلم.

[١١٣] [العتق يوم عرفة] :

وأخرج ابن أبي الدّنيا في كتاب الأضاحي عن علي رضي الله عنه أنّه قال وهو بعرفات : لا أدع هذا الموقف ما وجدت إليه سبيلا ؛ لأنه ليس في الأرض يوم أكثر عتقا للرقاب فيه من يوم عرفة ، فأكثروا فيه من قول : اللهم اعتقني من النار ، وأوسع لي في الرزق الحلال ، واصرف عني فسقة الجن والإنس ، فإنه عامة ما أدعوك به.

وليكثر من دعاء الخضر عليه السلام وهو : «يا من لا يشغله شأن عن شأن ، ولا سمع عن سمع ، ولا تشتبه عليه الأصوات ، يا من لا تغلطه كثرة المسائل ، يا من لا يبرمه إلحاح الملحيّن ولا تضجره كثرة السائلين ، أذقنا برد عفوك ، وحلاوة مغفرتك يا أرحم الراحمين». والدعاء في هذا الباب كثير لكن ما تقدم الشهير.

تذييل جليل فيه شفاء للقلب العليل:

[١١٤] [أحوال بعض الواقفين] :

يروى أن الفضيل ابن عياض رحمه الله تعالى وقف في بعض حجّاته ولم ينطق بشيء ، فلما غربت الشمس قال : واسوأتاه وإن غفرت لي.

وعن بشر الحافي رحمه الله تعالى قال : رأيت رجلا عشية عرفة غلبه الوله وهو يبكي وينتحب انتحابا شديدا وهو يقول :

سبحان من لو سجدنا بالعيون له ... على شبا الشوك والمحمى من الإبر

لم نبلغ العشر من معشار نعمته ... ولا العشير ولا عشرا من العشر

وأنشد أيضاً:

كم قد زللت ولم أذكرك في زللي ... وأنت يا مالكي بالغيب تذكرني

كم أكشف الستر جهلا عند معصيتي ... وأنت تلطف بي حلما وتسترني

قال: ثم غاب عني وحجب فلم أره ، فسألت عنه فقيل لي : هو أبو عبيدة الخواص له سبعون سنة ما رفع وجهه إلى السماء ، فقيل له في ذلك ، فقال : إني لأستحي أن أرفع إلى الحسن وجها مسيئا.

فواعجباه من مطيع يتذلل ويستحي مع إحسانه! ومن عاص لا يتذلل ولا يستحي مع عصيانه.

وقيل : لما وقف الشبلي بعرفات لم ينطق بشيء حتى غربت الشمس ، فلما جاوز العلمين هملت عينه بالدموع ، وأنشأ يقول:

أروح وقد ختمت على فؤادي ... بحبك أن يحل به سواكا

وفي الأحباب مختص بوجد ... وآخر يدّعي معه اشتراكا

إذا سكبت دموع في خدود ... تبين من بكى ممن تباكا

ووقف بعض الصوفية بعرفات ورأى تلهفهم وبكاءهم ، فرفع كفيه وطرفه إلى السماء وقال:

يا ذا المكارم والعلا ... يا ذا الجلال الأوحد

إن العصاة تجمعوا ... ترجو نوالك سيدي

قصـــدتك كـــل قبيلـــة ممـــن يـــروح ويغتـــدى
حطـــوا إليـــك رحـــالهم وتشـــفعوا بمحمـــد
صـــلى عليـــه الله مـــع أزكـــى ســـلام سرمـــد
والآل والأصــــحاب مـــا أعطيـــت عبـــدا قـــد هـــدي

فهتف به هاتف: يا شيخ قد قبل الله ذو العرش على من رأيتهم مـن أهـل الإسلام والتوحيد، وشفع فيهم خير الخلق، وأجاب السؤال، وعـمّ الجميـع بالفضل والنوال.

[١١٥][واسع فضل الله تعالى]:

وعن أبي عبد الله الجوهري رحمهالله تعالى قال: كنت سنة في عرفات، فلما كان آخر الليل نمت، فرأيت ملكين نزلا من السماء، فقال أحدهما لصاحبه: كم وقف هذه السنة؟ قال له صاحبه: ستمائة ألف، فلم يقبـل مـنهم إلا سـتة أنفس، قال: فهممت أن ألطم وجهي وأنوح على نفسي، فقال لـه: مـا فعـل الله في الجميع؟ قال: نظر الكريم إليهم بعين الكرم فوهب لكـل واحـد مـنهم مائة ألف، وغفر لستمائة ألف بستة أنفس، وذلك فضل الله يؤتيه مـن يشـاء، والله ذو الفضل العظيم.

وعن علي بن الموفق رضيالله عنه قـال: حججـت نيفـا وخمسـين حجـة وجعلت ثوابها للنبي صلى الله عليه وسلم، ولأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعـلي رضيالله عنهم، ولأبويّ، وبقيـت حجـة فنظـرت إلى أهـل الموقـف بعرفـات

وضجيج أصواتهم فقلت : اللهم إن كان في هؤلاء من لا تقبل حجته فقد وهبت له هذه الحجة ؛ ليكون ثوابها له ، فبتّ تلك الليلة بالمزدلفة فرأيت ربي عزوجل ، فقال لي : يا علي بن الموفق عليّ تتسخى ، قد غفرت لأهل الموقف ومثلهم وأضعاف ذلك ، وشفّعت كل رجل منهم في أهل بيته وخاصته وجيرانه ، وأنا أهل التقوى وأهل المغفرة.

وقال الفضيل مرة ـ والناس وقوف بعرفة ـ : ما تقولون لو قصد هؤلاء الوفد بعض الكرماء ، يطلبون منه دانقا كان يردهم؟! قالوا : لا ، فقال : والله لا المغفرة في جنب كرم الله أهون على الله من الدانق في كرم ذلك الرجل.

وسئل سفيان الثوري ـ حين دفع الناس من عرفة ـ عن أخسر ـ الناس صفقة؟ فقال : أخسر الناس صفقة من ظن أن الله تبارك وتعالى لا يغفر لهؤلاء ، انتهى.

[١١٦]

٤ـ[إجابة الدعاء في موقف مزدلفة]

وأما موقف مزدلفة فيستجاب فيه الدعاء في ليلة العيد إلى قبيل طلوع الشمس ـ كما قال الملّا علي في شرح الحصن الحصين ـ لا سيما في المشعر الحرام ، ويحتمل الإطلاق. وفضل الله واسع.

في نظم العصامي : عند طلوع الشمس ، قال شارحه : أي يستجاب الدعاء فيها من غروب الشمس يوم عرفة إلى طلوع شمس يوم النحر ، ثم قال : ينبغي أن لا يتقيد الدعاء بطلوع الشمس ؛ لأن المراد الأمكنة ، وهذا

التقييد خلاف المقصود، خصوصا والمزدلفة من الحرم، وهو يستجاب فيه الدعاء، وهي أماكن الإجابة المشرفة، وقد ورد في فضلها النص الشريف قال تعالى: (فَإِذا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفاتٍ فَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرامِ)، وقيل: المشعر: جميع المزدلفة، وهو قزح: وهو الجبل الذي يقف عليه الإمام وعليه المقيدة، والمشعر: العلم لعباده، ووصف بالحرام لحرمته. كذا في المدارك، وفي البحر.

[١١٧] [الاختلاف في قزح]:

واختلف في جبل قزح، قيل: هو المشعر الحرام، وقيل: المشعر: جميع المزدلفة، وقزح ـ غير منصرف للعدل والعلمية كعمر، من قزح الشيء ـ: ارتفع، وقيل: إنه كانون آدم عليه‌السلام، وقد روي أنه عليه‌السلام اجتهد في الدعاء لأمته فاستجيب له ما بقى مما لم يستجب له في عرفة من الدماء والمظالم.

[١١٨] [تسمية مزدلفة]:

وسميت مزدلفة: من التزلف والازدلاف: وهو التقرب؛ لأن الحجاج يتقربون منها إلى منى، وقيل: لأن الناس يأتونها زلفا من الليل، أي: ساعة منه، وتسمى جمعا؛ لأن آدم عليه‌السلام اجتمع فيها مع حواء وأزلف إليها، أي: دنا منها، أو لأنه جمع فيها بين الصلاتين، أو لأن الناس يجتمعون فيها ويقرب بعضهم من بعض.

[١١٩] [حدّ مزدلفة] :

وحدّها : ما بين مأزمي عرفة ووادي محسّر يمينا وشمالا من تلك الشعاب والجبال : وليس المأزمان ولا وادي محسّر منها ، وطولها : قيل : ميل ، وقيل ميلان.

[١٢٠] [ما يستحب لها من الأعمال] :

تتمة : يستحب الاغتسال لدخول مزدلفة ، والمشي ـ إن تيسر ـ ، والنزول بقرب جبل قزح وهو المشعر الحرام ، وإذا أتاها قال : اللهم إن هذه مزدلفة ، وجمع جمعت قلوبا مؤتلفة ، فألف بيني وبين جميع المؤمنين والمؤمنات ، واجعلني ممن دعاك فأجبته ، وتوكل عليك فكفيته ، وآمن بك فهديته.

ولا ينبغي النزول على الطريق ، ولا الانفراد عن الناس ، فينزل عن يمينه أو يساره.

[١٢١] [صفة الجمع بمزدلفة] :

ويفترض الجمع بها بين المغرب والعشاء بشروطه ، بأذان وإقامة ، إن لم يفعل ، وإلا ليعد الإقامة للعشاء ، ولم يجز المغرب للعشاء في غيرها ، إلّا إذا طلع الفجر ولم يعد ، فإنه ينقلب جائزا ، ويستحب الجمع قبل حط رحاله بعد إناخة جماله وعقلها ، وإذا فرغ يسن أن يبات بها ، فإن بات بغيرها يأثم ولا شيء عليه.

[١٢٢] [ما ينبغي من العمل في هذه الليلة]

وينبغي إحياء هذه الليلة بالصلاة والتلاوة والذكر والتضرع والدعاء ؛ لأنها جمعت شرف الزمان والمكان ، ويسأل الله تعالى إرضاء الخصوم ، ولا يتهاون في ذلك ، فإن الإجابة موعودة ، ويدعو في ليلته بمثل ما دعا بعرفة.

[١٢٣] [صلاة الفجر بمزدلفة] :

فإذا طلع الفجر يستحب أن يصليه بغلس مع الإمام ، أو حيث تيسّر ، ولا يستحب التغليس بالفجر عندنا إلّا في هذا اليوم فقط.

وإذا فرغ يستحب أن يأتي الإمام والناس إلى المشعر : وهو الذي عليه بناء اليوم ، ويقف مستقبل القبلة به أو يقرب منه إن تيسّر ، وهذا الوقوف واجب ليس بركن ، وأدناه ساعة لطيفة مطلقا في وقته ، من بعد طلوع الفجر إلى قبيل الشمس ، ولو مارا بأي حال كان وأي مكان من المزدلفة ، فلو تركه بلا عذر ، فعليه دم ، وإن كان بعذر : بأن كانت امرأته تخاف الزحام فلا شيء عليه ، كما في ترك غيره من الواجبات.

ويستحب أن يدعو ويهلل ويكبّر ، ويحمد الله ويثني عليه ، ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ، ويكثر التلبية ، ويرفع يديه للدعاء بسطا يستقبل بها وجهه ، ويذكر الله كثيرا ، ويسأل الله حوائجه الدينية والدنيوية ، ويدعو بالأدعية المأثورة وغيرها مما تيسر.

[١٢٤] [من الأدعية المأثورة في موقف مزدلفة] :

وعن أبي يوسف ، أنه كان يقول في حالة الوقوف بها : اللهم إن هذا جمع أسألك أن ترزقني جوامع الخير كله ، فإنه لا يعطي ذلك غيرك ، اللهم ربّ المشعر الحرام ، ورب الشهر الحرام ، ورب الحلال والحرام ، ورب الخيرات العظام ، أسألك أن تبلغ روح محمد منا أفضل الصلاة والسلام ، وأسألك أن تصلح لي في ذريتي ، وتشرح صدري ، وتطهر قلبي ، وأن تقيني جوامع الشرك ، فإنك ولي ذلك والقادر عليه ، اللهم أنت خير مطلوب وخير مرغوب ، ولك في كل وفد جائزة ، أسألك أن تجعل جائزتي في هذا اليوم أن تقبل توبتي ، وتجاوز خطيئتي ، وتجمع على الهدى أمري ، واجعل التقوى همي ، انتهى.

ويقول : اللهم ارحمني وأجرني من النار ، ووسع علي الرزق الحلال ، اللهم لا تجعله آخر العهد بهذا الموقف ، وارزقنيه أبدا ما أحييتني برحمتك يا أرحم الراحمين.

وجامع الأدعية المروية قوله صلى الله عليه وسلم : (اللهم إنا نسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، ونعوذ بك من شرّ ما استعاذك منه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنت المستعان وعليك البلاغ ، ولا حول ولا قوة إلا بالله). وهو غير مخصوص فينبغي الدعاء به في كل موطن ؛ ليكون داعيا بالمروي ، وقد أمر الله سبحانه بالذكر في هذا المشعر ،

وقد ورد (لا اله إلا الله هي أفضل الذكر) رواه الترمذي ، وفي رواية أحمد (وهي أفضل الحسنات) فينبغي الإكثار منها.

[١٢٥] ٥ـ[**الدعاء عند الحجر الأسود**]

[الحجر] ـ بفتح المهملة ـ وهو الحجر الأسود ، أي : كالأماكن المذكورة في حكم الإجابة ، والحجر ، قال صلى الله عليه وسلم : (ما من أحد يدعو الله عند الركن الأسود إلا استجاب الله له) أخرجه القاضي ، وقيده ابن علان تبعا للنقاش بنصف اليوم ، يعني : مع الزوال وقريبا منه ، والله أعلم بغيبه.

فينبغي للإنسان أن يكثر الدعاء هناك رجاء القبول ؛ فإنه أشرف أماكن الإجابة وأعظمها.

[١٢٦][**ما ورد من فضل الحجر الأسود وتقبيله**] :

وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : استقبل النبي صلى الله عليه وسلم الحجر ، ثم وضع شفتيه عليه يبكي طويلا ، ثم التفت فإذا بعمر بن الخطاب يبكي ، فقال : (يا عمر هاهنا تسكب العبرات).

وعن ابن عمر أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مسح الحجر الأسود والركن اليماني يحط الخطايا حطا.

وعنه أيضا : على الركن اليماني ملكان يؤمّنان على دعاء من مرّ بهما ، وإن على الحجر الأسود ما لا يحصى.

وعنه صلى الله عليه وسلم : (الحجر الأسود يمين الله في أرضه) ، فمن لم يدرك بيعة النبي ، فمسح الحجر فقد بايع الله ورسوله.

وعن جابر موقوفاً : الحجر يمين الله في أرضه يصافح بها عباده.

وعن عكرمة : الحجر يمين الله في أرضه ، فمن مسحه فقد بايع الله.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : (من فاوض الحجر الأسود فإنما يفاوض يد الرحمن).

ومعنى فاوض : لابس ، ومعنى كونه يمين الله في أرضه : أن من صافحه كان له ذلك عند الله عهدا ، وقد جرت العادة بأن العهد الذي [يقدمه] الملك لمن يريد موالاته والاختصاص به ، إنما هو المصافحة ، فخاطبهم بما يعهدونه. قاله الخطابي.

ونقل عن المحب الطبري : أن كل ملك إذا قدم عليه الوافد قبل يمينه ، فنزّل الحجر منزلة يمين الملك.

[١٢٧] [حفظ جناب التوحيد] :

وروى الشيخان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أنه قبّل الحجر الأسود ثم قال : والله لقد علمت أنك لا تضر ولا تنفع ، ولو لا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ، وقرأ (لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ).

[١٢٨] [شهادة الحجر لمن قبّله واستلمه] :

وروي أنه لما قال ذلك ، قال له أبي بن كعب : إنه يضر وينفع ، إنه يأتي يوم القيامة وله لسان زلق يشهد لمن قبّله واستلمه.

وفي رواية أيضا : أن عليا كرم الله وجهه قال لعمر : بلى يا أمير المؤمنين إنه يضر وينفع ، وإن الله لمّا أخذ المواثيق على ولد آدم كتب ذلك في رقّ ، وألقمه الحجر ، وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (يأتي الحجر الأسود وله لسان يشهد لمن قبّله بالتوحيد). فقال عمر رضي الله عنه : لا خير في عيش قوم لست فيهم يا أبا الحسن ، لا أحياني الله لمعضلة لا يكون فيها ابن أبي طالب حيا. وفي أخرى : أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن.

[١٢٩] [سبب قول عمر رضي الله عنه : «إنك لا تضر..»] :

قيل : إنما قال عمر رضي الله عنه ؛ لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام ؛ فخشي أن يظن الجهّال أن استلام الحجر من باب تعظيم بعض الأحجار كما كانت العرب تفعله في الجاهلية ، فأراد عمر رضي الله عنه أن يعرّف الناس أن استلامه من باب اتباع فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لا أن الحجر يضر وينفع بذاته كما اعتقدته الجاهلية في الأوثان. كذا نقل عن المحب الطبري.

[١٣٠] [الحجر من الجنة] :

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو مسند ظهره إلى الكعبة : (الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة ، ولو لا أن الله طمس نورهما لأضاءا ما بين المشرق والمغرب).

[١٣١] [تغير لون الحجر إلى السواد] :

وقد فضّل الله بعض الأحجار على بعض ، كما فضّل بعض البقاع والأيام والبلدان على بعض.

وفي رواية : ولو لا ما مسّهما من خطايا بني آدم لأضاءا ما بين المشرق والمغرب ، وفي رواية : ما بين السماء والأرض ، وما مسّهما من ذي عاهة ولا سقم إلا شفي.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم : (من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم). حديث صحيح.

وفي رواية : خطايا أهل الشرك ، وفي أخرى : من الثلج.

وروي : كأنه لؤلؤة بيضاء. ورواية : كأنه ياقوتة بيضاء. وأخرى : لأشد بياضا من الفضة.

قال العز بن جماعة : وقد رأيته أول حجاتي سنة ثمان وسبعمائة ، وبه نقطة بيضاء ظاهرة لكل أحد ، ثم رأيت البياض من بعد ذلك نقص نقصا بيّنا.

قال ابن خليل في منسكه الكبير : ولقد أدركت في الحجر ثلاثة مواضع : بيض نقية في الناحية التي إلى باب الكعبة المعظمة ، إحداها وهي أكبرهن قدر الذرة الكبيرة ، والأخرى إلى جانبها وهي أصغر منها ، والثالثة إلى جنب الثانية وهي أصغر من الثانية تأتي قدر حبّة ، ثم إني أتلمح تلك النقط فإذا هي كل وقت في نقص. ا. هـ.

[١٣٢] [حكمة تسويد الحجر]:

تعليقة: أكثر ما ذكره في حكمة تسويده بالخطايا أنه للاعتبار؛ وليعلم أن الخطايا إذا أثرت في الحجر فتأثيرها في القلوب أعظم وأوقع، فوجب لذلك أن تجتنب.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: إنما غير بالسواد؛ لئلا ينظر أهل الدنيا إلى زينة الجنة.

قال المحب الطبري: إن صحّ هذا فهو الجواب، قال ابن حجر: أخرجه الجندي في فضائل مكة بإسناد ضعيف.

ثانية: قال السهيلي: الحكمة في كون خطايا بني آدم سودته دون غيره من حجارة الكعبة: أن العهد الذي هو الفطرة التي فطر الناس عليها من توحيد الله، فكل مولود يولد على الفطرة، فلو لا أن أبويه يهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه حتى يسود قلبه بالشرك، لما حال العبد من العهد، فقد صار ابن آدم محلا لذلك العهد والميثاق، وصار الحجر لما كتب فيه من ذلك العهد والميثاق، فتنافسا، فاسودّ من الخطايا قلب ابن آدم بعد ما كان أبيض لما ولد عليه من ذلك العهد، واسود الحجر بعد بياضه، وكانت الخطايا سببا في ذلك حكمة من الله.

ثالثة: اعترض بعض الملحدين على الحديث المتقدم فقال: إذا سوّدته الخطايا ينبغي أن تبيضه الطاعات.

وأجاب ابن قتيبة عن ذلك : بأنه لو شاء الله لكان ، ثم قال : أما علمت أيها المعترض أن السواد يصبغ به ولا ينصبغ ، والبياض ينصبغ ولا يصبغ به. ا هـ.

وقيل : إن شدة سواده أن الحريق أصابه مرتين في الجاهلية والإسلام.

وهل كان يسمى بالأسود قبل الاسوداد أم تجدد ذلك له؟ قال العلامة الفخر بن ظهيرة : لم أر في ذلك نقلا ، ويحتمل أنه كان يسمى بذلك لما فيه من السؤدد ، فيكون المراد بقولهم أسود أي ذو سؤدد ، ويحتمل أنه لم يسم بذلك إلا بعد اسوداده ، والله أعلم.

[١٣٣] [شهادة الحجر على العباد] :

وعن مجاهد : يأتي الحجر والمقام يوم القيامة مثل أبي قبيس كل واحد منهما له عينان وشفتان يناديان بأعلى صوتهما يشهدان لمن وافاهما بالموافاة.

وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله تعالى يعيد الحجر إلى ما خلقه أول مرة) ، وقال الفشني في شرحه على الأربعين النووية : الحجر الأسود أصله ملك وكّله الله تعالى بأن يعين آدم بأن لا يأكل من الشجرة فنسي آدم ، وأغفل الله تعالى الملك ، فصيره الله تعالى الحجر الأسود.

ولا يقال ذلك أنه مسخ بل مكرمة ، ألا ترى أنه جعل له عينين يبصر بهما يوم القيامة يشهد فيه لمن استلمه بحق ، وجعل فيه مخزون العهد الذي أخذه في عالم الذر حيث قال : ألست بربكم؟ فافهم ، فإنه بديع. ا هـ.

وعنه عليه الصلاة والسلام : (إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلّم علي قبل أن أبعث وإني لأعرفه الآن).

وقال ابن سيد الناس : المشهور أنه الحجر الأسود.

وقال ابن حجر في شرح المشكاة : قيل هو الحجر البارز الآن بزقاق المرفق المقابل باب الجنائز.

[١٣٤] [خواص الحجر الأسود] :

ومن خواص الحجر : أنه لا يغرق بل يطفو ، وإذا دخل النار لا يحمى ، وأنه قد أزيل من مكانه غير مرة ثم أعاده الله إليه ، ووقع ذلك من جرهم ، وآباد ، والعمالقة ، وخزاعة ، والقرامطة ، وآخر من أزاله منهم أبو طاهر سليمان بن الحسن القرمطي في موسم سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، وحصل منه يوم التروية أذى عام من نهب الحجاج ، وسفك الدماء حتى سال بها الوادي ، ورمى بعض القتلى في بئر زمزم حتى امتلأت ، وأصعد رجلا على أعلى البيت ليقلع الميزاب ، فتردى على أعلى رأسه ومات ، وأخذ الحجر وانصرف به ، فعلقه في الأسطوانة السابقة في جامع الكوفة ؛ لظنّه الفاسد بأن الحج ينتقل إليها ، واستمر عنده إلى أن اشتراه منه المطيع لله أبو الفضل بن المقتدر ، ثم أعيد إلى مكانه سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ، ولما ذهب به هلك تحته أربعون جملا وقيل ثلاثمائة ، ولما أعيد إلى مكة حمله على قعود

أعجف فسمن تحته ، قال الجلال السيوطي : ويقال : أنه لما اشتراه منه جاءه عبد الله بن حكيم المحدث ، وقال : إن لنا في حجرنا آيتين ، إنه يطفو على الماء ، ولا يحمى على النار ، فأتى بحجر مضمخ بالطيب مغشى بالديباج ليوهموا بذلك ، فوضع في الماء فغرق ، ثم جعلوه في النّار فكاد أن ينشق ، ثم أتى بحجر آخر ففعل به ما فعل بما قبله فوقع له ما وقع ، ثم أتى بالحجر الأسود فوضعوه في الماء فطفا ، ووضع في النار فلم يحم ، فقال عبد الله : هذا حجرنا ، فعند ذلك عجب أبو طاهر القرمطي وقال : من أين لكم هذا؟ فقال عبد الله : ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم : (يمين الله في أرضه ، يأتي يوم القيامة وله لسان زلق يشهد لمن قبّله بحق أو باطل ، لا يغرق في الماء ، ولا يحمى بالنار) ، فقال أبو طاهر : هذا دين مضبوط بالنقل. ا. ه.

فإن قيل : ما ذكر عن القرمطي والحجاج والحصين بن نمير ينافي قوله تعالى : (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنا حَرَماً آمِناً).

أجيب عنه : بما قاله الحافظ ابن حجر في فتح الباري : بأن ذلك الأمن المذكور إنما وقع بأيدي المسلمين.

وقال الزركشي في الجواب : إنه لا يلزمه من قوله : (حَرَماً آمِناً) وجود ذلك في كل الأوقات. ا هـ.

[١٣٥][أحكام تقبيل الحجر]:

وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «يرفع الحجر يوم الاثنين».

تتمة: استلام الحجر الأسود عندنا في أول كل شوط، وهو الصحيح.

وقيل: في أول شوط من الطواف وآخره، وفيما بين ذلك مستحب.

وصفة الاستلام: أن يستقبل الحجر ويرفع يديه حذاء أذنيه ومنكبيه كما قيل، موجها باطنها نحو الحجر، ويقول: بسم الله والله أكبر، ويهلل ويحمد الله تعالى، ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، ويضع يديه على الحجر ويفرّج بينهما، ويضع فمه بينهما بلا تصويت ولا لحس باللسان، وهذا تقبيله، وهو سنة، وتكراره ثلاثا مستحب.

واختلف في السجود عليه ولا بأس به.

وإن لم يقدر على الاستلام يقوم بحذائه، ويرفع يديه حذو منكبيه مستقبلا بباطنهما إياه مشيرا إليه كأنّه واضع يديه عليه، ويكبر كما مرّ، ويقبل يديه ولا يشير بالفم ولا بالرأس إلى القبلة.

وينبغي أن يستاك ويغسل فمه إن كان به رائحة كريهة، ولا يحل تقبيله للمحرم إن كان به طيب.

[١٣٦][الحكم في حالة إزالة الحجر]:

ولو أزيل الحجر ـ والعياذ بالله تعالى ـ عن موضعه استلم موضعه وقبّله وسجد عليه، قاله الدارمي من أصحاب الشافعي، وارتضاه صاحب البحر

العميق من أصحابنا ، كذا ذكره القاضي زاد في شرحه على المنسك الصغير وقال العلامة ابن ظهيرة : واستشكله بعض علمائهم ، يعني : علماء الشافعية ، ثم قال رحمهالله : [ووجّهه الجدّ] ، وقال : إن الخصوصية التي ثبتت للحجر من كونه يمين الله في الأرض ، ويشهد لمن استلمه بحق ، وتقبيله عليه الصلاة والسلام غير موجود في الركن الذي هو فيه ، انتهى. ثم قال : لم أقف على نقل لأصحابنا في ذلك ، وما ذكره الجد من التوجيه في غاية القبول وبما يوافق أصولنا ؛ لأنه حيث هذا الحكم للحجر اقتصر عليه واختص به دون الركن ، فلا ينتقل الحكم إلى الركن ولا يقوم بدلا عن الحجر ؛ لأن من أصلنا أن نصب البدل بالرأي لا يجوز.

أما من أراد الطواف ووقف مستقبل الركن ورفع يديه لأجل النية فينبغي الجواز ؛ لأنه محل البدأة فتأمل. انتهى.

والظاهر ـ والله أعلم ـ : أن قول ابن ظهيرة هو الصواب.

[١٣٧] [ما ورد من الأدعية المأثورة في تقبيل الحجر] :

ومن الأدعية المأثورة : اللهم إيمانا بك ، وتصديقا بكتابك ، ووفاء بعهدك ، واتباعا لسنة نبيك محمد صلى‌الله‌عليه‌وسلم ، لا إله إلا الله والله أكبر.

وزاد بعضهم : اللهم إليك بسطت يدي ، وفيما لديك عظمت رغبتي ، فاقبل دعوتي ، وأقل عثرتي ، وارحم تضرعي ، وآمن خوفي ، وجد لي بمغفرتك ، وأعذني من مضلات الفتن.

[١٣٨] ٦ـ [من أماكن الإجابة المطاف]

طواف، أي: مكانه، وكان الأولى أن يقول: مطاف؛ لأن نفس الطواف ومباشرته من جملة أحوال الإجابة، لا من أماكنها، والظاهر لأن المراد به المحل المعهود في زمنه صلى الله عليه وسلم كله يجوز فيه الطواف، فكذا في شرح الحصن الحصين. قال الشيخ إدريس: وهو ما دار عليه القناديل من حديد، وهو الصف الأول إذا وقف الإمام خلف مقام إبراهيم. انتهى.

[١٣٩] [إجابة الدعاء مطلقا]:

والمراد: أنه يستجاب الدعاء مطلقا من غير قيد بزمن مخصوص، أو مكان معين منه، ثم قال الملّا: ثم الظاهر أن الدعاء يستجاب فيه حال مباشرة الطواف ودعواته المأثورة المشهورة، ولا يبعد أن يكون مطلقا انتهى.

أقول: والإطلاق أنسب بفضل الخلاف، وهو من أعظم أماكن الإجابة وأجلّها، وله فضل عظيم، قال صلى الله عليه وسلم: (لا تشد الرّحال إلّا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى) وإن كان يعم المسجد كله فهو دليل من حيث الإشارة إذ ذاك.

وقال عليه الصلاة والسلام: (ما بين الركن اليماني والحجر الأسود روضة من رياض الجنة).

[١٤٠] [من فضل المطاف]:

ومن فضله: ما حواه من دفن كثير من الأنبياء فيه، وروى الحسن في رسالته عن النبي صلى الله عليه وسلم: (ما بين الركن اليماني إلى الركن الأسود سبعون نبيا).

وفي منسك ابن جماعة: (ما بين الركن والمقام وزمزم قبور نحو من ألف نبي).

قال في مثير شوق الأنام: فإن قلت: ينبغي أن تكون الصلاة مكروهة ثمّ لأنها مقبرة؟ فالجواب: أن محل الكراهة في غير قبور الأنبياء كما قاله البهاء السبكي وعرضه على والده فصوّبه.

فإن قلت: الكراهة بل الحرمة من جهة أخرى وهو أن المصلى ثمّ يستقبل قبر نبي، وقد ورد النهي عن ذلك. فالجواب: أن محل ذلك مع التيقن، وما هنا مظنون انتهى.

[١٤١] [ما ورد في فضل الطواف]:

ومن فضله: وقوع الطواف الذي هو كالصلاة، و [هو] من أعظم القربات فيه، فيستحب الإكثار منه والدعاء فيه.

وقد ورد بفضله الكتاب، والسنة، والأثر.

أما الكتاب فما تقدم من قوله تعالى: (وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ)، وغير ذلك.

وأما السنة فأكثر من أن تحصر ، فمنها : ما روى ابن جماعة عن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم قال : (من طاف بالبيت سبعا وصلى ركعتين كان كعتق رقبة).

وعنه أيضا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه كان كعتق رقبة) ، وسمعته يقول : (لا يضع قدما ولا يرفع قدما أخرى إلّا حطّ الله عنه خطيئة وكتب له بها حسنة) رواه الترمذي محسنا ، وفي رواية أحمد : (إلّا بها كتب الله له عشر حسنات وحطّ عنه عشر سيئات ، ورفع له بها عشر درجات).

وقوله : أحصاه ، أي : حفظه بأن لا يغلط فيه.

وفي رواية أبي الفرج : (كتب الله له بكل قدم سبعين ألف حسنة ، وحطّ عنه سبعين ألف سيئة ، ورفع له سبعين ألف درجة ، وشفع في سبعين من أهل بيته).

وعنه صلى الله عليه وسلم : (من طاف بالبيت سبعا ، وصلّى خلف المقام ركعتين ، وشرب ماء زمزم ، غفرت له ذنوبه بالغة ما بلغت) أخرجه الواحدي في تفسيره.

وعنه صلى الله عليه وسلم : (إذا خرج المرء يريد الطواف بالبيت أقبل يخوض في الرحمة ، فإذا دخل غمرته ثم لا يرفع قدما ولا يضعها إلّا كتب الله له بكل قدم خمسمائة حسنة ، وحطّ عنه خمسمائة سيئة ، أو قال خطيئة ورفعت

له خمسمائة درجة ، فإذا فرغ من الطواف فصلى ركعتين خلف المقام ، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، وكتب له أجر عتق عشر رقاب من ولد إسماعيل ، واستقبله ملك على الركن فقال له : استأنف العمل فيما يستقبل فقد كفيت ما مضى وشفّع في سبعين من أهل بيته) أخرجه الأزرقي وغيره.

وعنه صلى‌الله‌عليه‌وسلم : (الكعبة محفوفة بسبعين ألف ملك يستغفرون الله لمن طاف بها).

وعنه صلى‌الله‌عليه‌وسلم : (أن الله تعالى يباهي بالطائفين ملائكته).

وعنه صلى‌الله‌عليه‌وسلم : (لو أن الملائكة صافحت أحدا صافحت الغازي في سبيل الله ، والبار بوالديه ، والطائف ببيت الله الحرام).

وعن ابن عباس رضي‌الله‌عنهما : أن رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال : (من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) ، قال العز ابن جماعة : والمراد بخمسين مرة والله أعلم خمسون أسبوعا ؛ لأن الشوط لا يتعبّد به ، ويدل لذلك أن جماعة رووه فقالوا : (من طاف خمسين أسبوعا كان كما ولدته أمه) ، فهذه الرواية مفسرة للأولى ، وليس المراد بأن يأتي بالخمسين في آن واحد ، بل توجد في صحيفة حسناته ، وقد سبقه إلى هذا المحب الطبري.

وعنه صلى‌الله‌عليه‌وسلم : (استكثروا من الطواف بالبيت فإنه أقل شيء تجدونه في صحفكم ، وأغبط عمل تجدونه).

وعنه صلى الله عليه وسلم : (طوافان لا يوافقهما عبد مسلم إلّا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، وتغفر له ذنوبه بالغة ما بلغت : طواف بعد الصبح يكون فراغه عند طلوع الشمس ، وطواف بعد العصر يكون فراغه عند غروب الشمس ، فقال رجل : يا رسول الله لم تستحب هاتان الساعتان؟ فقال : إنهما ساعتان لا تعدوهما).

قال المحب الطبري : يحتمل أن يريد بالبعديّة ما قبل الطلوع والغروب ولو بلحظة تسع أسبوعا ، ويحتمل أنه يريد استيعاب الزمنين بالعبادة ، ولعلّه الأظهر ، وإلّا لقال : طواف قبل الطلوع وقبل الغروب ، وعلى هذا فيكون حجة على من كرهه في الوقتين. انتهى.

[١٤٢] [**أجر الطواف**] :

وعنه صلى الله عليه وسلم : (من طاف بالبيت سبعا لا يتكلم إلّا سبحان الله والحمد لله ، ولا إله إلا الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله ، محيت عنه عشر سيئات ، وكتبت له عشر حسنات ، ورفع له عشر درجات ، ومن طاف فتكلم في تلك الحال خاض في الرحمة برجليه كخائض الماء برجليه).

وعنه عليه الصلاة والسلام : (الطواف بالبيت خوض في رحمة الله).

والأحاديث في فضل الطواف كثيرة.

وأما الأثر فمنه : ما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كان أحب الأعمال إلى النبي صلى الله عليه وسلم إذا قدم مكة الطواف.

وروى الأزرقي : أن ابن عمر كان يطوف سبعة أسابيع بالليل ، وخمسة بالنهار ، وإن آدم عليه‌السلام كان يطوف كذلك ـ وعنه أيضا ـ أنه طاف وصلّى ركعتين ، وقال : هاتان تكفران ما أمامهما.

وعن أبي سعيد الخدري رضي‌الله‌عنه : أنه طاف بالبيت على غلام له يسمى طهمان وهو يقول : والله لأن أطوف بهذا البيت أسبوعا ولا أقول فيه هجرا ، وأصلي ركعتين أفضل من عتق طهمان ، و [الهجر] ـ بضم [الهاء] ـ : الفحش في النطق.

وعن سعيد بن جبير : من حجّ البيت فطاف خمسين سبوعا قبل أن يرجع ، كان كما ولدته أمه.

وفي الإحياء : لا تغرب الشمس من يوم إلا ويطوف بهذا البيت رجل من الأبدال ، ولا يطلع الفجر من ليلة إلا طاف به واحد من الأوتاد ، فإذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الأرض.

وقد قيل : سبع أسابيع بعمرة ، وفي الحديث : (ثلاث عمر بحجة) وزد عمرتان كحجة ، وهذا في غير عمرة رمضان فإنها تعدل حجة كما ورد ، وفي رواية : (تعدل حجة معه صلى‌الله‌عليه‌وسلم).

[١٤٣] [الطواف في المطر] :

والطواف في بعض الأوقات له فضل عظيم ، وأجر جسيم ، فينبغي تحصيله ، فمن ذلك : وقت المطر ، روى عنه صلى‌الله‌عليه‌وسلم أنه قال : (من

طاف بالكعبة في وقت مطر كتب الله له بكل قطـرة تصـيبه حسـنة ومحى عنـه بالأخرى سيئة).

وعن أبي عقال قال : «طفت مع أنـس رضي‌الله‌عنـه في مطـر فلـما قضـينا الطواف أتينا المقام فصلينا ركعتين ، فقال لنا أنس : ائتنفـوا العمـل فقـد غفـر لكم ، هكذا قال لنا رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم وطفنا معه في مطر».

وعن مجاهد قال : كان كل شيء لا يطيقه الناس من العبـادة يتكلفـه ابـن الزبير ، فجاء سيل فطبق ، فامتنع النـاس مـن الطـواف ، فجعـل ابـن الـزبير يطوف سباحة.

وذكر ابن جماعة : أن جده طاف بالبيـت سـباحة ، وكلـما حـاذى الحجـر غطس لتقبيله ، وذكر أن بعض المالكيين أخبره أنه اتفق له مثل ذلك.

[١٤٤] [الطواف في شدة الحر] :

ومنها في شدة الحر ، لقوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم : (من طاف بالبيت أسبوعا في يوم صيف شديد الحر ، واستلم الحجر في كـل طـواف مـن غـير أن يـؤذي أحدا ، وأقلّ كلامه إلا بذكر الله تعالى ، كـان لـه بكـل قـدم يرفعهـا ويضـعها سبعون ألف حسنة ، ويمحى عنه سبعون ألف سيئة ، ويرفع له سـبعون ألـف درجة).

وروى عن ابن عباس رضي‌الله‌عنهما أنه صلى‌الله‌عليـه‌وسـلم قـال : (مـن طاف بالبيت سبعا في يوم صيف شديد الحر ، وحسر عن رأسه ، وقـارب بـين

خطاه ، وقلّ التفاته ، وغضّ بصره ، وأقلّ كلامه إلّا بذكر الله عزوجل ، واستلم الحجر في كل طواف من غير أن يؤذي أحدا ، كتب الله تعالى له بكل قدم يرفعها ويضعها سبعين ألف حسنة ، ومحا عنه سبعين ألف سيئة ، ورفع له سبعين ألف درجة ، وعتق عنه سبعين رقبة ، ثمن كل رقبة عشرة آلاف درهم ، ويعطيه الله سبعين شفاعة ، إن شاء في أهل بيته من المسلمين ، وإن شاء في العامة ، وإن شاء عجلت له في الدنيا ، وإن شاء أخرت له في الآخرة).

فإن قيل : هل يستوي في ذلك من طاف حافيا ومتخففا ، أم الأفضل الأول لكثرة المشقة؟.

قلت : أجاب عنه العلامة ابن ظهيرة : بأن إطلاق الحديث يقتضي التسوية بينهما ، لكن سياقه يفهم أن الأول أفضل وأكثر ثوابا ، حيث علل بشدة الحر ؛ لأن المراد تجشم المشقة ، وهو أكثر مشقة.

ثم إنما ينبغي الطواف في الوقتين إذا لم يلحقه به ضرر وإلا فلا يجوز ، وأيضا إذا أمكنه الطواف ولكن يتضرر بكشف رأسه فيغطيه ويحصل له الثواب بفيض فضل الوهاب.

ومنها عند خلوّ المطاف ؛ لأنه يقوم حينئذ بعبادة لا يشاركه فيها أحد في سائر أقطار الأرض ؛ ولذا قال العلماء رحمهم‌الله تعالى : لو حلف ليعبدن الله تعالى بعبادة لا يشاركه فيها أحد ، فالخلاص أن يخلى له المطاف فيطوف به وحده.

[١٤٥] [الإخلاص والتوجه إلى الله تعالى في الطواف] :

وإذا كان الطواف بهذه المزايا والفضائل ، والطائف له الفضل العظيم والآجر الكامل ، فينبغي له التوجّه إلى الله تعالى بالإخلاص ؛ ليكون أقرب من ذي الفيض والاختصاص ، ولا يكن كما قال بعض العارفين رحمهم الله أجمعين:

يا من يطوف ببيت الله بالجسد   والجسم في بلد والروح في بلد
ما ذا فعلت وما ذا أنت فاعله   مبهرجا في التقى للواحد الأحد
إن الطواف بلا قلب ولا بصر   على الحقيقة لا يشفى من الكمد

[١٤٦] [أقسام الطواف] :

تتمة : الطواف عندنا على أقسام سبعة :

الأول : طواف القدوم : وهو سنة للآفاقي المفرد بالحج.

الثاني : طواف الزيارة : وهو الركن الثاني من أركان الحج.

الثالث : طواف الصدور : وهو واجب على الآفاقي ما لم ينو التوطن بمكة قبل حل النفر الأول.

الرابع : طواف العمرة : وهو ركنها الأعظم.

الخامس : طواف النذر : وهو واجب على من التزمه.

السادس : طواف تحية المسجد : وهو مستحب لكل من دخل المسجد إلا إذا كان عليه غيره فيقوم مقامه ، بل أي طواف طافه عند الدخول كفاه عنه.

السابع : طواف التطوع : وهو ما زاد على ذلك بلا سبب.

وكل واحد من هذه الأنواع له حكم يخصه ، فلينظره في محله من أراده.

[١٤٧] [الدعاء والذكر في الطواف] :

تذييل : في بعض الأدعية المأثورة في الطواف ، قال في فتح القدير : «واعلم أنك إذا أردت أن تستوفي ما أثر من الأدعية والأذكار في الطواف ، كان وقوفك في أثناء الطواف أكثر من مشيك بكثير ، وإنما أثرت هذه [في طواف فيه تأنّ ومهلة] ومهل لا رمل ، ثم وقع لبعض السلف من الصحابة والتابعين أن قال في موطن كذا وكذا ؛ [ولآخر في آخر كذا ، ولآخر] في نفس أحدهما شيئا ، فجمع المتأخرون الكل ؛ لا أن الكل في الأصل لواحد ، بل المعروف في الطواف مجرد ذكر الله تعالى ، ولم نعلم خبرا روي فيه قراءة القرآن. انتهى كلامه.

ولعل مراده على طريق التلاوة ، وأما على طريق الدعاء ففيه شيء ، بل وعلى الأول أيضا ؛ إذ لا يعلم القصد إلا الله تعالى إذ ثابت قراءة ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ، نعم الأذكار والأدعية الواردة أفضل من قراءة القرآن كما قيل ، والظاهر أن كل ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من دعاء وذكر وقراءة في محل ، فهو أولى وأكمل

وأشرف وأجمل ، وإذا كان المأثور في ذلك كثير والوقوف في الطواف خطير ؛ لأنه خلاف سنة موالاة النذير البشير ، فينبغي الإتيان منه بما أمكن ،

وأفضل الوارد في الطواف الباقيات الصالحات وهي : سبحان الله، والحمد لله .. الخ، وقد يقال عند استلام الحجر.

ومن المأثور إذا حاذى الملتزم، قال : اللهم إليك مددت يدي ، وفيما عندك عظمت رغبتي ، فاقبل دعوتي ، وأقل عثرتي ، وارحم تضرعي ، وآمن خوفي ، وجد لي بمغفرتك ، وأعذني من مضلات الفتن ، اللهم إنّ لك حقوقا فتصدق بها عليّ.

وإذا كان بين الركن والمقام قال : اللهم قنّعني بما رزقتني ، وبارك لي فيه ، واخلف على كل غائبة بخير ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير.

قوله : (واخلف) بهمزة وصل وضم اللام ، و (على كل غائبة) جار ومجرور ومضاف إليه ، والمعنى : وكن خليفة على كل نفس غائبة لي ملابسا بخير ، واجعل خلفا على كل غائبة لي خيرا ، فالباء للتعدية كذا ضبطه الملّا في شرح الحصن الحصين.

ثم قال : وأما لهج بعض العامة من قوله : (عليّ) بتشديد الباء فهو تصحيف في المبنى ، وتحريف في المعنى ، كما لا يخفى. انتهى.

يقول الفقير : إذا كانت الرواية كذلك فلا كلام ، فيمكن أن يقال : (أخلف) بهمزة قطع وكسر اللام ، و (علي) جار ومجرور و (كل غائبة)

مفعول مضاف ، والمعنى : وأبدل كل حاجة منالة بخير منها أو أخير منها ، ولكن الأول أظهر والله أعلم.

وإذا حاذى الباب قال : اللهم إن هذا البيت بيتك وهذا الحرم حرمك ، وهذا الأمن أمنك ، وهذا مقام العائذ بك من النار.

ولا يريد بالعائذ أيضا ، بل يقصد بالمقام هذا المكان ، وبالعائذ جنس المستعيذ ، أو خصوص نفسه كما قال الطرابلسي ـ وقال السروجي : وإذا حاذى مقام إبراهيم قال : اللهم إن هذا مقام العائذ بك من النار ، اللهم حرّم لحومنا وبشرتنا على النار.

وقال في الكبير : وبين كلام السروجي والطرابلسي ـ تناف ـ انتهى. ويمكن الجمع بينهما غير مناف مما ليس بخلاف.

وإذا أتى الركن العراقي يقول ـ غير مشير إليه ولا مستلم عليه كالشامي ـ اللهم إني أعوذ بك من الشكّ والشّرك ، والشقاق والنفاق ، وسوء الأخلاق ، وسوء المنقلب في الأهل والمال والولد.

وإذا حاذى الميزاب قال : اللهم إني أسألك إيمانا لا يزول ، ويقينا لا ينفد ، ومرافقة نبيّك محمد صلى‌الله‌عليه‌وسلم ، اللهم أظلني تحت ظل عرشك ، يوم لا ظل إلا ظلك ولا باقي إلّا وجهك ولا فاني إلّا خلقك ، واسقني بكأس نبيك محمد صلى‌الله‌عليه‌وسلم شربة لا أظمأ بعدها أبدا.

وعند الشامي يقول : اللهم اجعله حجا مبرورا ، وسعيا مشكورا ، وذنبا مغفورا ، وتجارة لن تبور ، يا عزيز يا غفور ، يا عالم ما في الصدور ، وأخرجني من الظلمات إلى النور.

وإذا أتى الركن اليماني يقول : اللهم إني أعوذ بك من الكفر ، وأعوذ بك من الفقر ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، وأعوذ بك من الخزي في الدنيا والآخرة ، ﴿رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنا عَذابَ النَّارِ﴾ ، اللهم تقبّل مني كما تقبلت من إبراهيم خليلك ، وموسى كليمك ، وعيسى روحك ، ومحمد صلى الله عليه وسلم حبيبك ، اللهم إني أسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة.

ويقول بينه وبين الركن الأسود : ﴿رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنا عَذابَ النَّارِ﴾ ، وإذا قرب من الحجر قال : يا واجد لا تنزع مني نعمة أنعمتها عليّ ، وهكذا في كل شوط يفعل ، كما مر.

وينبغي أن يحصل الدعوات المأثورة ؛ لئلا يلحن فيها ، فيخشى عليه دخوله تحت قوله صلى الله عليه وسلم : (من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار [1]) كذا قال الملا علي.

[١٤٨] [كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم] :

وينبغي أن يكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف ، فإنها من أفضل القربات وأشرف العبادات ، حتى قال الأخضري في شرح

السلم : اتفق العلماء على أن جميع الأعمال منها مقبول ، ومنها مردود إلّا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فإنه مقطوع بقبولها إكراما له. وقال الشيخ عبد السلام بن إبراهيم اللقاني ـ في آخر شرحه على جوهرة التوحيد ـ : ولما كانت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم غير مردودة ، ختم كتابه بعد البداءة بها ليكون وسيلة لقبولها بينهما. انتهى.

وحرر الباجي في كنز العفاف : وإنها قد ترد كلمة التوحيد مع أنها أعظم منها وأفضل لحديث الأصبهاني وغيره ، وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قالها فتقبلت منه محى الله عنه ذنوب ثمانين سنة) فقيد المأمول بالقبول.

هذا ولم يعين الإمام محمد ـ حامل لواء مذهب أبى حنيفة على كاهله وراويه عنه ـ لمشاهد الحج شيئا من الدعوات ، فإن توقيتها يذهب برقة القلب ؛ لأنه يصير كمن يكرر محفوظه ، بل يدعو بما بداله ، ويذكر الله تعالى كيفما خطر له مما يوافق الشرع ، وإن تبرك بالمأثور منها فحسن أيضا على ما قاله غير واحد من أصحابنا ، لكن الأظهر أن اختيار المأثور عنه صلى الله عليه وسلم مستحب ، والمروي عن السلف مستحسن ، ويجوز الاكتفاء على من يرد على السالك إن كان أهلا لذلك. انتهى كلام الملّا علي رحمه الله تعالى.

[١٤٩] ٧ـ[من أماكن الإجابة المسعى]

وسعي أي : مكانه. وكان الأولى أن يقول : ومسعى ؛ لأن المراد المكان وهو ما بين الصفا والمروة ، يعني : ومما يستجاب فيه الدعاء المسعى ، لا سيما بين الميلين الأخضرين ، إما مطلقا كما ذكره الحسن لشرف المكان ، أو بقيد وقت العصر كما في نظم العصامي عن النقاش ، ومقتضى كلام الملا علي : أن الإجابة تتقيد بمباشرة السعي ، ويمكن الإطلاق ، ومال الشيخ إلى الإطلاق حتى عن قيد النقاش ، وقال : لأن الفضيلة للمحل لا بخصوص العمل ، ويظهر أنه الأصوب والأكمل ، وفضل الله أشمل.

والمسعى مكان شريف ومشعر عظيم ، ولو لم يكن من فضله إلّا ما شرع الله فيه من عبادة السعي الذي هو واجب عندنا وفرض عند مالك والشافعي وغيرهما ، لكفى.

وذكر القطب الحنفي : أن بعض المسعى من عرضه أدخل في المسجد ، ثم توقف في صحة وقفه مسجدا وفي الاعتكاف فيه ؛ لأنه مستحق لعمل النسك فلا يصح تملكه ولا وقفه ، ثم استبعده بأنه لو وقع لأنكره العلماء الذين لا يخافون في الله لومة لائم.

[١٥٠] [أحكام السعي] :

تتمة : السعي واجب في الحج والعمرة ، والهرولة بين الميلين سنة للرجال ، والدعاء فيه سنة ، وبالوارد عنه صلى الله عليه وسلم مستحب.

ومن المأثور فيه أن يقول في هبوطه من الصفا : اللهم استعملني بسنة نبيك ، وتوفني على ملته ، وأعذني من مضلات الفتن برحمتك يا أرحم الراحمين.

[١٥١] [الأدعية المأثورة في السعي] :

ويقول بين الميلين : رب اغفر وارحم ، وتجاوز عما تعلم ، إنك أنت الأعز الأكرم ، اللهم اجعله حجا مبرورا ، وسعيا مشكورا ، وذنبا مغفورا ، اللهم اغفر لي ولوالديّ وللمؤمنين والمؤمنات ، يا مجيب الدعوات ﴿رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ، ﴿رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً﴾ ، وأمثالها.

[١٥٢] ٨ـ٩ـ[المروتين]

«مروتين» أي : مما يستجاب فيه الدعاء الصفا والمروة ، وثنّاهما تغليبا كعمرين ، والصفا ـ بالقصر ـ طرف جبل أبي قبيس وهو معروف ، والصفا : الحجر الأملس واحده صفاة ، كحصى وحصاة ، ويجوز تذكيره وتأنيثه باعتبار إرادة المكان والبقعة ، كذا في المصباح ، وفي البحر الرائق : وكان الصفا مذكرا ؛ لأن آدم عليه‌السلام وقف به فسمى به ، ووقفت حواء على المروة [فسميت باسم المرأة] كذلك ، كذا ذكره القرطبي في تفسيره ، وفي المصباح : المروة : الحجارة البيض واحدها مروة ، وسمي بالواحدة الجبل المعروف بمكة.

[١٥٣] [إجابة الدعاء بالمروة] :

والمراد : أنه يستجاب الدعاء فيهما من غير قيد بوقت ، أو بوقت العصر ـ كما ذكره العصامي وبدعواتها المأثورة وغيرها.

[١٥٤] [الإجابة بالمسعى مطلق أم مقيد بالنسك] :

وهل يختص بحال مباشرة سعي أحد النسكين أم مطلقا؟ قال الملا في شرح الوسط : الظاهر الأول ، وعلى الثاني العمل ، وقال في شرح الحصن الحصين : فالأول : مجزوم به ، والثاني : محل توقف ، وفضل الله واسع. انتهى.

والذي يظهر والله أعلم : الإطلاق عن الزمان والحال كما أطلقه الحسن ، وتبعه على ذلك أكثر من ذكرها من مشايخنا ؛ لأن الشرف الكمال ، وهذا قصد الحسن الحث بذلك على القرار والثبات ، ولو كان المراد به خلاف عموم الأوقات لما كان فيه كبير حث على ذلك ، والله أعلم بما هنالك.

[١٥٥] [إجابة الدعاء بالصفا والمروة] :

والمروتان : مكانان عظيمان شريفان ، ويكفي في شرفهما قوله تعالى : ﴿إِنَّ الصَّفا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُناحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِما﴾.

الشعائر : جمع شعيرة ، وهي العلامة ، والمعنى : أنهما أعلام مناسكه ومتعبداته ، وقال الملا : والأظهر أن يقال : من شعائر دينه مطلقا ، ولا يتوهم من دفع الجناح نقصهما بعد أن مدحهما الله تعالى.

[١٥٦] [أصل الصفا والمروة] :

قيل : كان على الصفا إساف ، وعلى المروة نائلة : وهما صنمان ، يروى أنهما كانا رجلا وامرأة زنيا في الكعبة ، فمسخا حجرين ، فوضعا ليعتبر بهما ، فلما طالت عبدا من دون الله ، فكان أهل الجاهلية إذا سعوا مسحوهما ، فلما

جاء الإسلام وكسرت الأصنام، كره المسلمون الطواف بينهما؛ لأجل فعل الجاهلية، فرفع عنهم الجناح فلا جناح. انتهى.

[١٥٧] [**التفاضل بين الصفا والمروة**]:

وهل الصفا أفضل أم المروة أفضل؟

لم أر الآن فيه شيئا لعلمائنا، وحكى الشيخ إدريس عن ابن حجر تبعا لجماعة منهم، أفضلية الصفا لتقدمه في القرآن. وعن الرملي، والشربيني، وشيخ الإسلام تبعا لابن عبد السلام: المروة، والله تعالى أعلم.

[١٥٨] [**ترتيب أعمال السعي وآدابها**]:

تتمة: البداءة بالصفا في السعي واجبة، وقيل: سنة، وقيل: شرط، ويستحب إذا أراد السعي بعد طواف أن يخرج من باب الصفا، والسنة أن يخرج إليه بعد الطواف على فوره، ثم يتوجه إلى الصفا، ثم إذا دنى منهما قال: «أبدأ بما بدأ الله تعالى به ﴿إِنَّ الصَّفا وَالْمَرْوَةَ﴾.

[١٥٩] [**الحث على الإتباع**]:

كما ورد في الحديث، ويصعد على الصفا بقدر ما يرى البيت الشريف من الباب أو من فوق الجدار، وما زاد على ذلك من الصعود على الجدران والالتصاق بدعة قبيحة.

[١٦٠] [**ما يسن في الصفا**]:

ويسنّ أن يستقبل القبلة، وأمّا رؤية البيت فيستحب، ويرفع يديه حذو منكبيه بسطا للدعاء لا كما يفعله الجهلة من معلمي الغرباء وغيرهم: من رفع

أيديهم إلى آذانهم وأكتافهم ثلاثا كل مرة مع تكبيرة ، فإن السنة بخلافه ، وفعلهم ذلك لم يقل به أحد من العلماء ، فيرفع يديه من غير إرسال ، ويحمد الله تعالى ويثني عليه ، ويكبر ثلاثا ، ويهلّل ، ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم يدعو له وللمسلمين بما شاء.

والحاصل : أنه إذا رفع يديه يقول : الله أكبر الله أكبر ولله الحمد ، الحمد لله على ما هدانا ، الحمد لله على ما أولانا ، الحمد لله على ما ألهمنا ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله ، لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو حي لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلّا الله وحده ، صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده ، لا إله إلّا الله ولا نعبد إلّا إياه ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، اللهم إنك قلت ادعوني استجب لكم ، وإنك لا تخلف الميعاد ، وإني أسألك كما هديتني للإسلام أن لا تنزعه مني حتى تتوفاني مسلما ، سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلّا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين ، اللهم اغفر لي ولوالديّ ولمشايخي وللمسلمين أجمعين ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ، ويكرر ذلك ثلاثا ، ويطيل القيام بقدر سورة من طوال المفصل أو بقدر خمس وعشرين آية من القرآن ، وما يقال في السعي تقدم.

ويفعل في المروة كالصفا إلّا أنه يحتاج إلى الصعود عليها ؛ لأن أدنى المروة تحت العقد المشرف عليها ، فمن وقف على أول درجة منها أو على أرضها بعد العقد ، فقد حصل المقصود.

[١٦١] ١٠ـ[من أماكن إجابة الدعاء زمزم]

وزمزم : ـ كجعفر ـ : بئر عند الكعبة معروفة وهو علم منقول ، وقيل : مرتجل ، سميت بذلك لكثرة مائها ، إذ الزّم الكثير ، أو لضم هاجر أم إسماعيل لمائها حين انفجرت ، والزمّ : الضّم ، أو لزمة جبريل ، أي : تكلمه عند فجره لها ، أو لأن الفرس لما كانت تحج تزمزم عندها ، والزمزم : صوت تخرجه الفرس من خياشيمها ، وقيل غير ذلك.

[١٦٢][متى تستجاب عند زمزم] :

والمراد : أن مما يستجاب فيه الدعاء عند الوقوف على قرب بئرها ، أو مع شرب مائها ، فإن ماء زمزم لما شرب له ، كذا قال الملا علي.

وظاهره : أن الإجابة تكون مع القرب ولو لم يشرب ، ومع الشرب ولو لم يقرب ؛ ولذا قال بعض العلماء : ينبغي أن يكون ذلك عند شربها ولو بالصين ، وذلك وإن استبعد ، ففضل الله عظيم ، واستظهر بعض الشافعية : أنها تكون بالقرب مع الشرب.

وعلى ذلك فهل هي قبل الشرب أو بعده؟ الظاهر : الإطلاق ؛ لأن ذلك لشرف المكان أو الماء ، وقيده النقاش بعد الغروب والله أعلم بغيبه.

[١٦٣] [فضل بئر زمزم] :

وزمزم : بئر شريفة وعظيمة ، وهي أشرف آبار الدنيا.

وعن علي ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : «خير واديين في الناس : وادي مكة ، وواد بالهند الذي هبط به آدم عليه السلام ، ومنه يؤتى بهذا الطيب الذي يتطيب به الناس ، وشر واديين في الناس : واد بالأحقاف ، وواد بحضرموت يقال له : برهوت ، وخير بئر في الناس زمزم ، وشر بئر في الناس برهوت».

وأمّا ماؤها فورد في فضله أحاديث كثيرة وآثار شهيرة ، فمنها ما رواه الطبراني وغيره : أنه صلى الله عليه وسلم جاء إلى زمزم فنزعوا له دلوا فشرب ، ثم مجّ في الدلو ثم صبه في زمزم ، ثم قال : (لو لا أن تغلبوا عليها لنزعت معكم). وفي رواية : أنه غسل وجهه وتمضمض منه ثم أعاده فيها.

وروي أن الذي نزع له الدلو : العباس رضي الله عنه.

وروى الواقدي أنه نزع لنفسه. وهو ضعيف.

[١٦٤] [حديث زمزم لما شرب له] :

وروى جابر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ماء زمزم لما شرب له) ، قال العلامة الجلال السيوطي رحمه الله تعالى : هذا الحديث أخرجه ابن ماجه ، وأخرجه الخطيب في التاريخ بسند صححه الدمياطي ، والمنذري ، وضعّفه النووي ، وحسّنه ابن حجر بوروده من طريق جابر ، وورد من حديث ابن عباس ، وابن عمر رضي الله تعالى عنهم ، قال الشيخ ابن الجزري رحمه الله تعالى في الحصن الحصين : «ولما أتى الإمام الحجة عبد الله بن المبارك زمزم

استقى منه شربة ثم استقبل القبلة ، ثم قال : اللهم إن ابن أبي الموالي حدثني ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ماء زمزم لما شرب له ، وهذا أشربه لعطشي يوم القيامة ثم شرب) هذا سند صحيح والراوي عن ابن المبارك ذلك سويد بن سعيد ثقة. وروى له مسلم في صحيحه وابن أبي الموالي ثقة ، روى له البخاري في صحيحه ، فصح الحديث والحمد لله ، انتهى.

قال : وفيه تأمل وبين وجهه ، والحاصل أن الحديث فيه كلام كثير ، وقد ألّف الحافظ ابن حجر فيه جزءا ، وحاصل ما ذكره أنه مختلف فيه ، فضعفه جماعة ، وصححه آخرون ، قال : والصواب أنه حسن ؛ لشواهده ، وقال العلقمي في شرح الجامع الصغير : قال شيخنا يعني الجلال السيوطي : هذا الحديث مشهور على الألسنة كثيرا ، واختلف الحفاظ فيه ، فمنهم : من صححه ، ومنهم من حسّنه ، ومنهم من ضعّفه ، والمعتمد الأول ، وجازف من قال : حديث (الباذنجان لما أكل منه) فإن حديث الباذنجان موضوع كذبا. ا هـ.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا : (ماء زمزم لما شرب له ، فإن شربته تستشفي شفاك الله ، وإن شربته مستعيذا أعاذك الله ، وإن شربته لتقطع ظمأك قطعه الله ، وإن شربته لشبعك أشبعك الله ، وهي هزمة جبريل ، وسقيا إسماعيل) ، ومما بلغ من الصحة والحسن (إنها شفاء سقم) ، رواه الطبراني ،

وفي صحيح مسلم : (إنها مباركة وإنها طعام طعم) ، وضبط بعض العلماء : طعم بفتح الطاء وكسر العين ، وبعضهم بضم الطاء وسكون العين ، قال الكازروني وهي طعام طعم ، أي : طعام طاعمين كثير في الأكل ؛ لأن طعم جمع طعوم ، وهو كثير الأكل.

وقال العلقمي : وإنها طعام طعم بالإضافة ، والطعام اسم لما يطعم ، فكأنه قال : طعام إشباع ، أو طعام شبع من إضافة الشيء إلى صفته.

وقال الجوهري : والطعم بالضم الطعام ، وبالفتح ما يشتهى.

[١٦٥] [ما ورد في ماء زمزم] :

وعن ابن عباس [رضي الله عنهما] : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (الحمّى من جهنم فأبردوها بماء زمزم) رواه أحمد وابن أبي شيبة وابن حبان ، وفي البخاري بالشك بالماء أو بماء زمزم.

وعنه أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم : (خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم) أخرجه الطبراني في معجمه بسند من رجاله ثقات وصححه ابن حبان.

وعنه أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من زمزم) رواه البخاري في التاريخ ، وابن ماجه والحاكم.

وعنه أيضا : (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يتحف الرجل ، سقاه من زمزم) رواه ابن أبي شيبة عن ابن عدي ، قال في الجواهر : وهذا إسناد صحيح.

ويروى أن في بعض كتب الله المنزلة : «زمزم لا تنزف ولا تذم ، ولا يعمد عليها فيتضلع منها ابتغاء بركتها ، إلّا خرجت منه مثلي ما شرب من الداء ، وأحدثت له شفاء ، والنظر إليها عبادة ، والطهور منها يحط الخطايا حطّا ، وما امتلأ جوف عبد مؤمن من ماء زمزم إلّا ملأه الله علما وبرا».

وعن وهب بن منبه أنه قال : (والذي نفسي بيده إن زمزم لفي كتاب الله تعالى مضنونة ، وإنها لفي كتاب الله برّة ، وإنها لفي كتاب الله شراب الأبرار ، وإنها لفي كتاب الله طعام طعم وشفاء سقم).

وثبت في الصحيح عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم أنه قال ـ لأبي ذر وقد أقام بين الكعبة وأستارها ما بين أربعين يوما وليلة ليس له طعام غيرها : (إنها طعام طعم) ، وزاد غير مسلم بإسناده و (شفاء سقم).

وعنه أيضا قال : (لما قدمت مكة مكثت أربعة عشر يوما بلياليها ، ومالي طعام ولا شراب غير زمزم ، حتى تكسّرت عكن بطني ، وما أجد على كبدي سخفة الجوع) ـ بفتح السين المهملة وضمها وسكون الخاء المعجمة ـ يعني : رقته وهزاله ، وقيل : هي الخفة التي تعتري الإنسان إذا جاع.

وعن ابن عباس ـ رضي‌الله‌عنهما ـ قال : «كان أهل مكة لا يسابقهم أحد إلّا سبقوه ، ولا يصارعهم أحد إلّا صرعوه ، حتى رغبوا عن زمزم ، فأصابهم المرض في أرجلهم».

وأخرج ابن عساكر عن أبي الدرداء قال : «إلياس والخضر يصومان شهر رمضان في بيت المقدس ، ويحجان في كل سنة ، ويشربان من ماء زمزم شربة تكفيهما إلى مثلها من قابل».

[١٦٦][شرب الأئمة زمزم لنيل العلم] :

وفضائله كثيرة ، فمنها : ما لا يحصى كم شربه من الأئمة العارفين لأمور نالوها : فلقد نقل عن الإمام الشافعي أنه قال : شربته لثلاث : للرمي فكنت أصيب العشرة من العشرة والتسعة من العشرة ، وللعلم فهذا أنا كما ترون ، ولدخول الجنة وأرجوها.

وقيل لابن إسحاق من أين أوتيت العلم؟ فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ماء زمزم لما شرب له) وإني لما شربته سألت الله علما نافعا.

وذكر الحافظ ابن حجر عن نفسه وقال : شربته مرة وسألت الله وأنا في بداية طلب الحديث أن يرزقني حالة الذهبي في حفظ الحديث ، ثم حججت بعده مدة تقرب من عشرين سنة وأنا أجد في نفسي المزيد على تلك الرتبة ، فسألته أعلى منها فأرجو الله أن أنال ذلك.

وذكر العلامة شمس الدين بن علي الداودي المالكي في ترجمة شيخه الجلال السيوطي ما نصه : ولما حج شرب ماء زمزم لأمور ، منها : أن يصل في الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البلقيني ، وفي الحديث إلى رتبة الحافظ ابن

حجر ، إلى أن قال : والذي نفسي بيده إن الذي أعتقده وأدين الله به ، أن الرتبة التي وصل إليها من العلوم واطلع عليها لم يصل إليها أحد ، ولا وقف عليها غيره من مشايخه فضلا عن غيرهم هم دونه.

ومكث والد الشيخ ابن الجزري أربعين عاما لا يولد له ولد ، فشربه بنية أن يرزقه الله ولدا صالحا ، فولد له الشيخ محمد الجزري.

وناهيك به علما وصلاحا.

[١٦٧] [مما يروى ويحكى في شفاء المرضى بشرب زمزم] :

وحصر بعضهم بالبول في ليلة ظلماء في المطاف ، وتعذر خروجه من المسجد ، فشربها وتضلع منها فذهب منه إلى الصباح.

واعترضت إبرة في حلق إنسان ، فصار لا يطبق فمه ، فشربه بجهد ، وغلبت عيناه فنام ، وانتبه وليس به بأس.

وحصل لبعضهم عمى ، فشربه وغسل عينيه فبرأ منه.

وحصل لعالم كبير من أهل اليمن استسقاء عظيم ، واشتد به ، فذهب إلى طبيب فلما رآه أعرض عنه وقال : هذا يمكث ثلاثة أيام ، فألقى الله بباله أن يشرب ماء زمزم بنية ، عملا بالحديث ، فقصدها فتضلع منها ، فأحس بشيء في جوفه ، فبادر إلى جهة مدرسة قايتباي فأسهل كثيرا ، ثم عاد وشرب وتضلع ، ثم أسهل كذلك ، فشفاه الله تعالى. وبينما في بعض الأيام برباط ربيع

يغسل ثوبه وإذا بالطبيب رآه فقال : أنت صاحب تلك العلة؟! قال : نعم ، فقال : بم تداويت؟ قال : بماء زمزم ، فقال الطبيب : لطف بك الله.

وكان في باطن العارف بالله تعالى الشيخ عبد الوهاب الشعراني دبلة قدر البطيخة ، وكان قد أجمع حكماء مصر على أن يشقوا جنبه ، ويخرجوها ، فألهمه الله تعالى أن يشربه بنية الشفاء ، فحصل له بعد الشراب حرارة ، طبختها وأخرجتها سوداء مقطعة مهبرة حتى ملأت طشتا.

حكي ذلك في العهود ، والأخبار من هذا كثيرة ، وهي مؤيدة للحديث السابق ، مع أنه صحيح الإسناد كما سبق ، ولم يصنف ابن الجوزي في ذكره في الموضوعات ، لكونه إما صحيحا وإما حسنا.

[١٦٨] [مزايا وفوائد زمزم] :

وذكر بعضهم أن أحد الأبدال مقيم بزمزم يؤمّن لمن شرب منها ودعا عندها.

ومنها : أنه يبرد الحمى ، ويذهب الصداع ، ويقوي القلب ، ويسكن الروع ، ولذا قال الحافظ العراقي : إن الحكمة في غسل صدر النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ليقوى بها على رؤية ملكوت السموات والأرض ، والجنة والنار ، وهي الأشربة المفرحة ، وفيها ما في الأمراق من التغذية والتقوية.

ومنها : أن جميع المياه العذبة ترفع وتفور قبل يوم القيامة إلّا زمزم. ذكره الضحاك.

ومنها : أنه كان يحلو في ليلة النصف من شعبان ويطيب ، ويقال : إن عين السلوان تتصل بزمزم تلك الليلة ، ويفيض ماؤها إلى رأس البئر ، لكن لا يرى ذلك إلّا العارفون.

ومنها : أن من حثاه على رأسه لا تلحقه زلة أبدا. كما نقله الفاسي وغيره.

ومنها : أنه لا يجتمع هو وجهنم في جوف عبد. كما نقله المحب الطبري.

ومنها : أن النظر فيه عبادة ، قال صلى الله عليه وسلم : (خمس من العبادة : النظر إلى المصحف ، والنظر إلى الكعبة ، والنظر إلى الوالدين ، والنظر في زمزم ، وهي تحط الخطايا ، والنظر في وجه العالم). رواه الدارقطني. وقيل : النظر إليها ساعة كعبادة سنة والنظر في بئرها يجلو البصر ، ويحط الخطايا.

ومنها : اجتماع أرواح المسلمين فيها.

[١٦٩][**خصائص زمزم**] :

كما ورد لها أسماء كثيرة ، ومنها : أنه لا يردّ ماؤها كما لا يرد الطيب، ولا يشرب شيء من المياه قائما إلّا هو ، وفضل وضوئه ومغاسله : أنه إذا خيف ضرر ماء يقول عليه : يا ماء ماء زمزم يقرئك السلام ، فإنه يأمن ضرر ذلك الماء ، ذكره الشيخ زرّوق في نصائحه.

والحاصل : أنه شراب الأبرار.

[١٧٠] [زمزم أفضل المياه] :

وسيد المياه وأفضلها كلها طبا وشرعا ، حتى قال بعض العلماء : هي أفضل من ماء الكوثر ، إلّا ما نبع من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم ، وتوقف في كونه أفضل من ماء الكوثر بعضهم كالعلامة السيوطي ، والفخر بن ظهيرة ، وقد سئل الجلال السيوطي عن ذلك بما صورته:

يا غرة في جهة الدهر أفتنا	لا زلت تفتي كل من جال يسأل
في زمزم أو ماء كوثر حشرنا	ما منهما يا ذا المعالي أفضل
جوزيت بالإحسان عنا كلنا	وبجنة المأوى جزاؤك أكمل

فأجاب بما صورته :

لله حمدي والصلاة على النبي	محمد من للبرية يفضل
ما جاءنا خبر بذلك ثابت	فالوقف عن خوض بذلك أجمل
هذا جواب ابن السيوطي راجيا	من ربه التثبيت فيما يسأل

ومال في رسالته (ساجعة الحرم) إلى تفضيل زمزم على الكوثر ، وله قول ثالث بتفضيل الكوثر عليها ؛ لأنه عطية الله لنبيه صلى الله عليه وسلم خاصة ، بخلاف زمزم فإنه عطية لإسماعيل عليه السلام ؛ وللتصريح بالكوثر في القرآن مع الإسناد إلى نون العظمة مع خصوصيته أنه من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا.

فإن قيل : هذه الفضيلة لعينه ، أم للبقية؟

فالجواب : أنها لعينه ، وإلّا لزم حصولها لغيرها لو حفرت بالمسجد ، ولا قائل بهذا ، أجاب الفخر العلامة ابن ظهيرة في منسكه والله أعلم.

وللشيخ العلامة بدر الدين أحمد بن محمد المصري أبيات في مدح زمـزم ، منها قوله:

شـفيت يـا زمـزم داء السـقيم فأنـت أصـفى مـا تعـاطى النـديم
وكـم رضـيع لـك أشـواقه إليـك بعـد الشـيب مثل الفطـيم

وقوله:

مـاء زمـزم الطيبـة المخـبر يا مـن علـت غـورا عـلى المشـتري

وقوله :

رضـيع أخلافـك لا يشـتهي فطامـه إلّا لـدى الكـوثري
بـالله قولـوا لنيـل مصـر بـأنني عنـه في غنـائي
بزمـزم العـذب عنـد بيـت مخلـق السـتر بالوفـاء

[١٧١] [**عيون زمزم**] :

فائدة : أخرج الأزرقي : أن في بئر زمزم ثلاثة عيون : عـين حـذاء الـركن الأسود ، وعين حذاء أبي قبيس والصفا ، وعين حذاء المروة.

ونقل الفاكهي : عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ، عن كعب الأحبار : أن العين التي من الحجر الأسود هي أغزر العيون الثلاثة.

قال الفخر بن ظهيرة رحمه الله تعالى : إنها من عيون الجنة.

وقال بعضهم : عمق البئر ستة وستون ذراعا ، وعرض رأسها أربع في أربع بالذراع التي هي أربع وعشرون أصبعا ، وبينها وبين البيت ثلاثة وثلاثون ذراعا.

[١٧٢] [آداب ودعاء شرب زمزم] :

تتمة : يستحب شرب ماء زمزم ، والإكثار منه ، والتضلع به ، وينبغي لمن أراد شربه أن ينزع الدلو بنفسه إن تيسر ، وأن يكون الدلو مما يلي الحجر الأسود ، ويأخذ بيمينه ، ويستقبل القبلة ويقول : اللهم إنه بلغني عن نبيّك صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ماء زمزم لما شرب له) اللهم إني أشربه لكذا ، ويعيّن مراده ويقول : بسم الله والحمد لله ، والصلاة على رسول الله ، وكان ابن عباس رضي الله عنهما إذا شرب ماء زمزم قال : اللهم إني أسألك علما نافعا ، ورزقا واسعا ، وشفاء من كل داء ، ـ وزاد بعضهم ـ وسقم ، واغسل قلبي من كل ذنب ، واملأه من خشيتك ، وارويني يوم العطش الأكبر يا أرحم الراحمين ، ويتنفس ثلاثا ، ويسمي الله تعالى في ابتداء كل مرة ، ويحمده في فراغها ، ولا يشربه مجرّبا بل مخلصا.

وروي عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر قال : «كنت جالسا عند ابن عباس فجاءه رجل فقال : من أين جئت؟ قال : من زمزم ، قال : فشربت منها كما ينبغي؟ قال : وكيف ينبغي؟ قال : إذا شربت منها فاستقبل الكعبة ، واذكر اسم الله ، وتنفس ثلاثا ، وتضلع منها ، فإذا فرغت فاحمد الله» ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من ماء زمزم) رواه ابن ماجه واللفظ له ، والحاكم في المستدرك ، وقال : صحيح على شرط الشيخين.

[١٧٣] [الوضوء والغسل والاستنجاء بزمزم] :

قال في المنسك الكبير : ولا بأس بالاغتسال والتوضؤ بماء زمزم ، ولا يكره عند الثلاثة خلافا لأحمد ، ثم عن أحمد أنه يكره ، وقيل يحرم ، وقيل يكره الغسل لا الوضوء.

وعن بعض أصحابه : يستحب الوضوء به ، وينبغي أن لا يستعمل إلّا على شيء طاهر على وجه التبرك وتجديد الوضوء.

وأما إزالة النجاسة به كالاستنجاء ونحوه فذكر بعض العلماء تحريم ذلك ، وبعضهم كراهته ، ويقال : إنه استنجى به بعض الناس فحدث به الباسور.

وذكر الفاكهي : «أن أهل مكة كانوا يغسلون موتاهم بماء زمزم ، إذا فرغوا من الغسل تبركا به» ، وأن أسماء بنت أبي بكر غسلت ابنها عبد الله بن الزبير بماء زمزم رضي الله عنهم.

[١٧٤] [نقل زمزم] :

ويستحب نقله إلى البلاد ، وروى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها : (أنها كانت تحمله وتخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحمله [٣] ، وكان يصبه على المرضى ويسقيهم ، وأنه حنّك به الحسن والحسين).

[١٧٥] ١١ـ [من أماكن الإجابة مقام إبراهيم عليه السلام]

مقام : أي مما يستجاب فيه الدعاء خلف مقام إبراهيم عليه السلام ، إما مطلقا على ما عرف ، أو بقيد وقت السحر كما ذكره النقاش.

وهل ذلك بالقرب منه ، أو بما يصدق عليه خلف المقام الذي خصه العرف بما فرش خلفه من حجارة الرخام؟ الأخير أنسب بمذهبنا.

وهل يختص بمن فرغ من ركعتي الطواف ، أم لا؟ جزم الملّا علي إلى الأول ، والأحسن الإطلاق إنشاء الله تعالى ؛ لأن ذلك لشرف المحل ، ولله الإكرام والفضل.

والمقام في اللغة : موضع قدم القائم. هي حجارة ، وكان يقوم عليها [إبراهيم عليه السلام] حين نزوله وركوبه من الإبل حين يأتي إلى زيارة هاجر وولدها إسماعيل عليه السلام.

وذكر القاضي في تفسيره : أن الحجر الذي فيه أثر قدميه ، هو الموضع الذي كان فيه حين قام ودعا الناس إلى الحج.

وقيل : لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف إبراهيم عليه السلام عن رفع الحجارة ، قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه.

وقيل : إنه جاء زائرا من الشام إلى مكة ، فقالت له امرأة إسماعيل : انـزل حتى تغسل رأسك ، فلم ينزل ، فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الأيمـن ، فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ، ثم حولته إلى شقه الأيسر ـ حتـى غسلت الشق الآخر ، فبقى أثر قدميه عليـه ، وهـذا القـول منسـوب إلى ابـن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم.

وذكر الأزرقي : «أنه لما فرغ من التأذين جعلـه قبلـه ، فكـان يصـلي إليـه مستقبل الباب» ، قال الملّا علي : قال في البحر والذي رجحه العلـماء أن المقـام كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ملصقا بالبيت ، قـال ابـن جماعـة : وهـو الصحيح ، وذكر الأزرقي : «أن موضع المقام هو الـذي بـه اليـوم في الجاهليـة وعهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبي بكر ، وعمر رضي الله عنهما». انتهى.

والأظهر : أنه كان ملصقا بالبيت ، ثم أخـر عـن مقامـه لحكمـة هنالـك تقتضي ذلك ، وأيّا ، فالآية توجب أنه أين يوجد فهو المصلى وهـو المـدعى ا. ه كلامه.

وقال الملّا علي ـ رحمه الله ـ في الكبير : وأما ترجيح صاحب البحـر لـذلك القول فالله أعلم بمستنده في ذلك. قال ابن حجر ـ في شرح البخـاري ـ : وقـد روى الأزرقي في أخبار مكة بأسانيد صحيحة : أن المقـام كـان في عهـد النبـي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر في الموضع الذي هو فيـه الآن ، حتـى جـاء سيل في خلافة عمر رضي الله عنه ؛ فاحتمله حتى وجد بأسفل مكـة ، فـأتى بـه

فربط بأستار الكعبة حتى قدم عمر ، فاستثبت في أمره حتى تحقق موضعه الأول ، فأعاده إليه فاستقر ثمّ إلى الآن ، وروي عن بعض العلماء : أنه كان عند الكعبة موضع الحفرة ا. هـ.

أقول : ومستند صاحب البحر وغيره ما ذكر مالك في المدونة : أن المقام في عهد إبراهيم كان في مكانه اليوم ، وكانت قريش في الجاهلية ألصقته بالبيت خوفا من السيول ، واستمر كذلك في عهده صلى الله عليه وسلم وعهد أبي بكر ، فلما ولّي عمر رضي الله عنه رده إلى موضعه الآن.

واعترضه المحب الطبري : بأن سياق حديث جابر الصحيح الطويل ، وما روي نحوه يشهد لما قاله الأزرقي.

وردّ بأنه يمكن حمله على قول مالك ، ولا منافاة بين ذلك والله أعلم بما هنالك. وذكر الأزرقي رضي الله عنه : أن ذرع المقام ذراع ، وأن القدمين داخلان فيه سبعة أصابع.

وروى ابن جماعة : أنه حرّر مقدار ارتفاعه من الأرض : فكان نصف ذراع وربع وثمن ، بذراع القماش المستعمل بمصر في زمنه ، وأعلى المقام مربع من كل جهة نصف ذراع وربع ، وموضع غوص القدمين ملبس بالفضة ، وعمقه من فوقها سبع قراريط ونصف قيراط بالذراع المتقدم ، وهذا آخر الكلام عليه.

[١٧٦] [فضل المقام] :

وأما فضله فعظيم ، قال تعالى : ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾.

وقال تعالى : ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾.

وروي أن عمر ـ رضي الله ـ عنه قال : يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى! وقال عليه الصلاة والسلام : (لم أؤمر بذلك) ، فلم تغب الشمس حتى نزلت هذه الآية. وهذه أحد المواطن التي وافقت عمر فيها رأيه.

وعنه عليه الصلاة والسلام : (من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وحشر يوم القيامة من الآمنين) أخرجه في الشفاء ، وفي المنسك الكبير.

[١٧٧] [فضل الصلاة خلف المقام] :

وإذا أتى مقام إبراهيم عليه السلام فصلى عنده ركعتين إيمانا واحتسابا ، كتب الله له عتق أربعة عشر من ولد إسماعيل ، وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. وهو بعض حديث بريدة مرفوعا :

(لما أهبط آدم إلى الأرض طاف بالبيت سبعا ، وصلى خلف المقام ركعتين ، ثم قال : اللهم إنك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي ، وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي ، وتعلم ما عندي فاغفر لي ذنوبي ، اللهم إني أسألك إيمانا يباشر قلبي ، ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لا يصيبني إلا ما كتبت لي ، ورضّني

بقضائك! فأوحى الله تعالى إليه : يا آدم إنّك دعوتني بدعاء استجبت لك فيه ، وغفرت ذنوبك ، وفرجت همومك وغمومك ، ولن يدعو به أحد من ذريتك من بعدك إلّا فعلت ذلك به ، ونزعت فقره من بين عينيه ، واتجرت له من وراء كل تاجر ، وأتته الدنيا وهي كارهة وإن لم يردها) رواه الأزرقي ، والطبراني في الأوسط ، والبيهقي في الدعوات وابن عساكر.

وورد أن آدم دعا ربه خلف المقام ، وفي رواية عند الملتزم ، وفي أخرى : عند الركن اليماني.

ولا منافاة بين الروايات ؛ لاحتمال أنه دعا ربه في المقامات.

فإن قلت : في نقل العلماء لدعاء آدم تفاوت في بعض الألفاظ فما سبب ذلك؟ أقول : لعل ذلك لاختلاف الروايات ، والله أعلم.

[١٧٨] [أحكام ركعتي الطواف] :

تتمة : ينبغي إكثار الصلاة عند المقام إذا لم يؤذ أحدا من الأنام ؛ لأنه من أعظم الأماكن التي صلّى فيها صلى‌الله‌عليه‌وسلم ، خصوصا ركعتي الطواف ، فإنه يستحب مؤكدا أداؤهما خلفه ، وهو أفضل أماكنها ، ثم الكعبة ، ثم الحجر ، ثم تحت الميزاب ، ثم كلما قرب من الحجر إلى البيت ثم باقي الحجر ، ثم ما قرب من البيت ، ثم المسجد الأصلي ، ثم باقيه ، ثم الحرم كله إلى أعلامه ، ثم لا فضيلة بل الإساءة.

وهما واجبتان مطلقا عندنا ، ولا يؤديان في أوقات الكراهة على المذهب خلافا لما اختاره الطحاوي.

ويستحب عند الأربعة أن يقرأ في الأولى : الكافرون ، وفي الثانية : الإخلاص.

ويستحب أن يدعو بعدهما بدعاء آدم عليه‌السلام.

والسنة أن يوالي بينهما وبين الطواف ، إلّا في وقت مكروه ، فلذا قالوا : لو طاف ثم صلى المغرب يصليهما قبل سنة المغرب.

وعن ابن عمر رضي‌الله‌عنهما : أنه إذا أراد أن يركع خلف المقام ، جعل بينه وبين المقام صفا أو صفين ، أو رجلا أو رجلين. رواه عبد الرزاق.

والظاهر : أنه لرجاء مصادفة مصلى سيد الخلق على الإطلاق.

[١٧٩] [بدع تقع في المقام] :

وأما ما أحدثه بعض الناس من إتيان المقام في وقت كراهة الصلاة ، والوقوف عنده للدعاء مع استقبال القبلة أو المقام ، فلا أصل له في السنة ، ولا رواية عن فقهاء الأمة من الأئمة الأربعة ، كذا قال الملا علي.

ونقل العلامة ابن خليل المالكي : أن الحجرين المفروشين خلف المقام اللذين يقف عليهما المصلي ، صلّى عليهما بعض الصحابة.

وقال : مسح المقام ومسّه وتقبيله ليس بسنة ، إنما أمرنا بالصلاة عنده.

وبحث فيه العلامة ابن ظهيرة فقال : كون المسح والتقبيل ليس بسنة ، لا يمنع

من الإتيان به على وجه التبرك ، فمن فعل ذلك تبركا ، فالظاهر أنه لا بأس به فتأمل هذا. انتهى.

[١٨٠][إنكار البدع] :

أقول : وما ذكره علماؤنا في المنع عن مسّ جدار الحجرة الشريفة وتقبيلها ، وتقبيل القبر الشريف ونحوه ؛ معللين بأن ذلك لم يفعله العلماء الأكابر ، يؤيد ابن خليل ويؤذن بالمنع ، والله أعلم.

[١٨١] ١٢ـ[من أماكن الإجابة الميزاب]

وميزاب : أي ومما يستجاب فيه الدعاء تحت الميزاب ، وهو معروف.

قال الملا : الظاهر أنه من داخل الحجر ، ويحتمل أن يراد به محاذيه من الطواف ، وقيده النقاش بوقت السحر ، ويمكن الإطلاق تعويلا على عظيم فضل الخلاق ، ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما من أحد يدعو تحت الميزاب إلّا استجيب له.

ونقل ابن جماعة عن بعض السلف : من صلّى تحت الميزاب ركعتين ثم دعا بشيء مئة مرة وهو ساجد استجيب له.

وعن عطاء بن أبي رباح : من قام تحت مثقب الكعبة ودعا استجيب له.

والمثقب : مجرى الماء ومسيله.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : «صلوا في مصلّى الأخيار ، واشربوا من شراب الأبرار ، فقيل له : ما مصلّى الأخيار ، وما شراب الأبرار؟

فقال : تحت الميزاب ، وماء زمزم» ، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي في الحجر.

في رسالة الحسن البصري رحمه الله تعالى : إن إسماعيل عليه السلام شكى إلى ربه حرّ مكة ، فأوحى الله إليه : إني أفتح لك بابا من الجنة في الحجر ، يخرج عليك الرّوح منه إلى يوم القيامة.

الروح ـ بفتح الراء ـ نسيم الريح.

وفيها عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه أقبل ذات يوم ، فقال لأصحابه : «ألا تسألوني من أين جئت ؛ فسألوه» ، فقال : «كنت قائما على باب الجنة». وكان قائما تحت الميزاب يدعو الله عنده.

ويروى أن أبا هريرة ، وسعيد بن جبير ، وزين العابدين رضي الله عنهم ، كانوا يلتزمون ما تحت الميزاب من الكعبة. والحاصل أنه من أماكن الإجابة الفاضلة ، ومما يرتجى فيه حصول الرحمة النازلة ، أي تعتبر بما تقدم من الأماكن في حكم الإجابة ، يعني : يستجاب عندها الدعاء مطلقا.

[١٨٢] ١٣ـ١٤ـ١٥ـ[من أماكن الإجابة الجمرات]

أو بعد الرمي ، وعند طلوع الشمس ، قال الملا علي : والظاهر تقييدها بأوقاتها المعروفة ، أي : لأنه يمكن الدعاء مع المشي.

وأما الأولى والوسطى فأمرهما ظاهر ؛ لأن الوقوف عندهما سنة. والجمار : ـ هي الصغار من الحجارة ، ـ جمع جمرة ، وبها سمّوا المواضع التي ترمى جمارا

وجمرات ، لما بينهما من الملابسة من تسمية المحل بالحال ، وقيل لجمع ما هناك من الحصى ، من تجمر القوم إذا تجمعوا ، أو جمر شعره إذا جمعه على قفاه.

[١٨٣] [الحكمة من رمى الجمار] :

وهي من أماكن الإجابة ومنازل العبادة ، ولا ينافيه ما روي من أن الرمي لطرد الشيطان ونحوه ؛ لأن الحق أنه فعل تعبّدي أمرنا به ، ولا ندرك حكمته كالطواف ، والسعي ، وهو الصحيح الذي عوّل عليه المحققون من علمائنا والشافعية وغيرهم ، ولذا قال بعضهم : لو كان القصد بالرمي النكاية لجاز بنحو النشاب ، أو الإهانة لجاز بنحو البعر ، أو الإكرام لجاز بنحو النقد ، فلم يبق إلّا التعبّد المحض وإتباع النص وأخرج سعيد بن منصور أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن رمي الجمار؟ فقال : (الله ربكم تكبرون ملّة أبيكم إبراهيم تتبعون ، ووجهة الشيطان ترجمون ، وسنة نبيكم تتبعون).

[١٨٤] [تعليم جبريل المناسك للنبي صلى الله عليه وسلم] :

وأخرج الحاكم عنه وصححه : (جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليريه المناسك ، فانفرج له ثبير ، فدخل منى فأراه الجمار ، ثم أراه جمعا ، ثم أراه عرفات ، فنبغ الشيطان للنبي صلى الله عليه وسلم عند الجمرة الأولى فرماه بسبع حصيات حتى ساخ) ، ونبغ ـ بنون فموحدة مفتوحات ـ أي ظهر ، وساخ ـ بمهملة ثم معجمة ـ غار في الأرض ، وقوله : (فانفرج له ثبير) هذا في صراحة بأن ثبير عن يمين الذاهب وعن يساره ، وبأن كلا منهما ثبير ولا

خلاف حينئذ، ويقال: لأن ثبير اسم لثمانية أماكن: سبعة منها في مكة والحرم. كذا في شرح الشيخ إدريس.

وروى البيهقي وغيره: «أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ لما أوتي بالمناسك عرض له الشيطان عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض، ثم عرض له عند الجمرة الثانية فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض».

[١٨٥] [فضل رمي الجمرات]:

وروي أن الكبش لما هرب من سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ وقف عند الجمرة! فرماه بسبع حصيات حتى أخذه، فصار سنة.

وفي حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ الذي رواه الطبراني والبزار وابن حبان في صحيحه: (وأما رميك الجمار فلك بكل رمية حصاة رميتها تكفير كبيرة من الموبقات). وروى أنس ـ رضي الله عنه ـ مرفوعا: (أنه يغفر له بكل حصاة رماها كبيرة من الكبائر الموبقات الموجبات) رواه سعيد بن منصور [٢].

وهو وإن كان خلاف ما عليه الجم الغفير ففضل الله عظيم كبير.

[١٨٦] [أحكام الرمي]:

تتمة: المقصود من الجمار رميها، وهو واجب.

ومكانه: ثلاثة أذرع من الأرض، حول الشاخص من كل جانب، فما وقع في الزائد على ذلك لا اعتبار به، وإذا أصاب الشاخص فليتنبه له، فإن كثيرا من الناس عنه غافلون.

[١٨٧] [**وقت الرمى**] :

ووقته : يوم النحر من طلوع فجره إلى فجر الثاني ، وفي الثاني : إلى فجر الثالث ، وفي الثالث : إلى الغروب ، وقيل : فيهما من الفجر أيضا ، ورجحه شيخنا الشيخ رحمه‌الله تعالى ، وسبقه إلى ذلك كثير من محققي المتأخرين ، والرابع : كالثالث.

[١٨٨] [**صفة الحصاة**] :

وعدد حصاه : سبع لكل واحدة ، مثل النواة أو الباقلاء أو أكبر بيسير.

[١٨٩] [**الشرط في الرمي**] :

والشرط : الرمي أو الطرح ، لا الوضع ، وأن يكون ما يرمي به من جنس الأرض ، وأن يكون متفرقا ، ويكره أن يأخذ حجرا كبيرا فيكسره ، مع أنه يجوز.

[١٩٠] [**كيفية الرمي**] :

وكيفيته في اليوم الأول : أن يأتي جمرة العقبة بعد طلوع الشمس ـ وهو السنة ـ يستقبلها ، ويرفع يديه بحيث يرى إبطه ويقول : بسم الله الله أكبر رغما للشيطان وحزبه ، ورضى للرحمن ، اللهم اجعله حجا مبرورا ، وسعيا مشكورا ، وذنبا مغفورا ، ويفعل هكذا مع كل حصاة.

وفي الثاني : يذهب بعد الزوال ويأتي للجمرة الأولى من أسفلها إلى ورائها ، ويقف مستقبل القبلة ، ويجعل أكثر الجمرة عن يمينه ، ويرمي كما تقدم.

وإذا فرغ تقدم إلى أمامها من جهة اليسار مستقبلا ، ويدعو بما تيسر له ولوالديه ومشايخه والمسلمين ، ويطيل الوقوف بالإخلاص بقدر عشرين آية وأكثر ، من غير أن يؤذي أحدا ؛ لأنه من أماكن الإجابة.

وكذا يفعل في الثانية إلا أنه يقف بعدها إلى جهة اليمين ؛ كيلا يؤذي ولا يؤذى.

ويرمي الثالثة كاليوم الأول ، ولا يقف ، وكل رمي بعده رمي فالركوب فيه أفضل ، وما لا فلا.

وإلى هنا انتهى الكلام على بيتي صاحب النهر ، وهذا تكلم في الزيادة.

[١٩١] ١٦ـ[منى من أماكن الإجابة]

[١٩٢][تعريف منى] :

يصرف فيكتب بالألف ، وإذا منع من الصرف فيكتب بالياء ، والغالب التذكير والصرف ، وجزم الجوهري بتذكيره وصرفه ، وأنشد على تذكيره :

سقى منى ثم روّاه وساكنه ومن ثوى فيه واهي الودق مغتبق

وجاء في تأنيثه للفرحي:

ليومنا بمنى إذ نحن ننزلها أسرّ من يومنا بالعرج أو طلل

وهي قرية بينها وبين مكة فرسخ.

[١٩٣] [سبب التسمية بمنى] :

سميت بذلك ؛ لما يمنى فيها من الدماء ، أي : يراق ، وهو المشهور الذي ذكره جمهور اللغويين وغيرهم ، أو لأن جبريل ـ عليه السلام ـ لما أراد أن يفارق آدم ، قال له : تمنّ! قال : أتمنى الجنة ، فسميت بذلك لأمنية آدم. كذا قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أي : لما يمنى أي يقدر ، أو لاجتماع الناس بها ؛ لأن العرب تسمى كل مجتمع للناس منى ، أو لمنّ الله تعالى على الخليل بفداء ابنه عليهما السلام ، أو لمنّ الله تعالى على عباده بالمغفرة ، أو غير ذلك.

والمراد أنه يستجاب الدعاء فيها مطلقا ، أو في نصف ليلة البدر ـ على ما قاله النقاش ـ أو ليالي التشريق كلها ؛ لأنها من الأماكن الشريفة والمنازل المنيفة ، وظاهره أن جميع أماكنها محل الإجابة ؛ لأنها من المشاعر العظام ومنازل الأنبياء الكرام ، ومجمع الأولياء والحجاج ، ودعواتهم مستجابة ، فالدعاء هناك مستجاب بفيض فضل الوهاب لا سيما في أثناء العبادة ، خصوصا في مسجد الخيف.

وهل يختص ذلك بأيام المناسك أو يعم جميع السنة؟

كلا الأمرين ممكن ، والفضل واسع.

[١٩٤] [فضل أعمال منى] :

ومنى مكان شريف ، وله فضل منيف ، فمن فضلها : ما شرعه الله من العبادة التي يحصل بها أجر عظيم فيها.

وروي عن أنس ـ رضي الله عنه ـ مرفوعا : أنه يغفر له بكل حصاة رماها كبيرة من الكبائر الموبقات الموجبات. رواه سعيد بن منصور.

وتقدم عن زيد بن أرقم مرفوعا في الأضحية : (بكل عضو حسنة قالوا : والصوف؟ قال : بكل شعرة من الصوف حسنة). رواه ابن ماجه.

وقال صلى الله عليه وسلم لفاطمة رضي الله عنها : (فإنه يغفر لك عند أول قطرة تقطر من دمها كل ذنب عملتيه) الحديث. رواه الحاكم مصححا.

[وهذا] ... وإن كان ليس من خصوصيات منى ، فقد يقاس عليه ثواب هدي القران والتمتع والتطوع ، والله أعلم.

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (للحالق بكل شعرة سقطت عن رأسه نور يوم القيامة). رواه ابن حبان.

وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال للأنصاري ـ الذي سأله عن مشاعر الحج ـ : (إن لك بكل شعرة حلقتها حسنة ، ويمحى عنك بها خطيئة ، قيل : يا رسول الله ، فإن كانت الذنوب أقل من ذلك؟ قال : إذا يدخر لك ذلك). رواه أبن سعيد.

وروى ابن الحاج في منسكه عن أبي سهل بن يونس ـ الرجل الصالح ـ أنه قال : (كأني في سفينة تجري على وجه الأرض ، [فقلت : سبحان الله ، سفينة تجري على وجه الأرض!!] فقال : فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقفزت من موضعي وقلت : يا رسول الله استغفر لي ، فقال لي : حججت؟ فقلت :

نعم ، فقال : حلقت رأسك بمنى؟ قلت : نعم ، قال : رأس حلقت بمنى لا تمسه النار أبدا).

ومن ذلك ما فيها من المآثر الشريفة ، ولو لم يكن إلا ذلك لكفى.

[١٩٥] [فضل مسجد الخيف] :

فأعظم مآثرها : مسجد الخيف وهو معروف مشهور ، وسمي به لأنه ناحية من منى ، والخيف : الناحية ، أو لأنه هبوط وارتفاع في سفح الجبل ، أو لانحداره عن غلظ الجبل ، وارتفاعه عن مسيل الماء ، والخيف كذلك.

وهو مسجد عظيم الفضل ، ووردت في فضله أحاديث ، فمنها ما أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط عن أبي هريرة ـ رضي‌الله‌عنه ـ قال : قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم : (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الخيف ، والمسجد الحرام ، ومسجدي). وإسناده ضعيف كما نص عليه الحفّاظ ، وإنما ذكرته لغرابته ، ولجواز العمل به في فضائل الأعمال ، كما ذكره النووي وغيره من علماء الحديث. كذا قال الشيخ محمد بن جابر الظهيري.

وأخرج أيضا في الكبير عن ابن عباس ـ رضي‌الله‌عنهما ـ قال : «صلّى في مسجد الخيف سبعون نبيا ، منهم موسى» رواه الأزرقي أيضا ، وعن مجاهد : «خمسة وسبعون نبيا».

وأنه قال : «وإن استطعت أن لا تفوتك الصلاة فيه فافعل».

وفي مسند البزار ، من حديث عبد الله بن العاص ـ رضي الله عنه ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (في مسجد الخيف قبر سبعين نبيا). وروى الفاكهي بسنده إلى عروة بن الزبير : أن آدم عليه السلام دفن بمسجد الخيف بعد أن صلّى عليه جبريل بمكة بالكعبة.

[١٩٦] [**فضل الصلاة بمسجد الخيف**] :

وروى العلامة صاحب القاموس في كتابه (الوصل والمنى في فضل منى) عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه كان يقول : «لو كنت من أهل مكة لأتيت مسجد منى كل سبت» ، وذكر ابن ظهيرة أن سنده جيد. وروى الأزرقي عن أبي هريرة بلفظ : «لو كنت من أهل مكة لأتيت مسجد الخيف كل سبت» ، وقال الحميدي : حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا الدفرة ، قال : ذكر ابن جريج عن عطاء : أنه سمع أبا هريرة ـ رضي الله عنه ـ يقول : «لو كنت امرءا من أهل مكة ما أتى علي سبت حتى آتي مسجد الخيف فأصلي فيه».

[١٩٧] [**الإنكار على المنكرات**] :

قال العلامة ابن حجر المكي ـ رحمه الله تعالى ـ : في هذا إشعار بشرفها ، ولا يؤخذ منه ندب ذلك ؛ لتوقفه على صحته عن أبي هريرة ، وأنه لا يقال رأيا ، فمن أخذ ذلك عن الغفلة عما ذكرنا ، فهو جاهل ضال ، كيف وقد ترتبت على ذلك من المفاسد الواقعة في السبت المشهور بمنى ما يتعين على كل ذي قدرة السعي في إزالته ، وكف من يغتر العامة به عن الذهاب إليه ؛ معتلا

بقصد الزيارة والبركة ، غافلا عما فيه من الإعانة على المعصية وإيقاع غيره في الضلال والهلكة. انتهى.

فانظر يا أخي في هذا الكلام ما أقربه إلى الصواب وأحراه برأي ذي الألباب الذين كشف الله عن قلوبهم رين الحجاب ، لا سيما على مذهبنا ، يعرف ذلك من له اطلاع على الأحوال المكفرات ونحوها ، مع ذكر ما في حضور الوليمة المشابة بمعصية ، ومعاصي ذلك اليوم عامة في سائر منى ، يعرف ذلك من شاهده وعاينه. فنسأل الله العفو والسلامة!

[١٩٨] [مصلى النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد] :

وأما تعيين مصلّى النبي صلى الله عليه وسلم منه ، فعند المحراب الذي في القبّة الذي في وسط المسجد ، فإنه بني في موضع أحجار كانت هناك ، وكان مصلاه صلى الله عليه وسلم عندها ، والقبّة هي المسجد الأصلي ، قيل : إنه محل الأنبياء ، ومصلى الأخيار ، وفيه قبر آدم عليه السلام ، وأمّا ما زاد على القبة فمن زيادة الملك الأشرف قايتباى.

وأخرج الأزرقي عن خالد بن مضرس ، أنه رأى أشياخا من الأنصار يتحرون مصلاه صلى الله عليه وسلم أمام المنارة قريبا منها ، وقال عن جده : الأحجار التي بين يدي المنارة هي موضع مصلّى النبي صلى الله عليه وسلم ، لم نزل نرى الناس وأهل العلم يصلون هنالك ، ويقال له مسجد العيشومة

كانت فيه أبدا خضراء في الجدب والخصب بين حجرين من القبلة وتلك العيشومة قديمة لم تزل ثمّ. انتهى. ولا وجود [لها] الآن.

[١٩٩] [غار المرسلات] :

ومنها : غار المرسلات ، وهو قريب من مسجد الخيف ، معروف مشهور ، نزلت فيه سورة المرسلات ، وفي صحيح البخاري في باب ما يقتله المحرم من الدواب من رواية ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : (بينما نحن مع النبي صلى الله عليه وسلم في غار بمنى إذ نزلت (وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفاً)، وإنه ليتلوها وإني لأتلقاها من فيه ، وإن فاه لرطب بها ، إذ وثبت علينا حية ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اقتلوها! فابتدرنا فذهبت ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وقيت شركم ، كما وقيتم شرها). ومن عجيب ما اتفق أن صاحب القاموس دخله وجماعة فقراء في المرسلات ، فخرجت عليهم حية ، فابتدروا لقتلها ، فهربت.

وروى ابن جبير : (أنه صلى الله عليه وسلم جلس بهذا الغار مستظلا فيه ، فمس رأسه الكريم الحجر فلان حتى أثر فيه تأثيرا بقدر دورة الرأس) ، فصار الناس يبادرون بوضع رؤوسهم في هذا الموضع تبركا واستجارة لرؤوسهم بموضع مسه الرأس الكريم ، أن لا تمسه النار برحمة الله تعالى .

[٢٠٠] [مسجد السّرر] :

ومنها مسجد السرر ، ويسمى بمسجد عبد الصمد بن علي لكونه بناه ، وهو بين محسر ومنى في شرقيها ، قال أبو سعيد الحسن ابن الحسين السكري :

السّرر : على أربعة أميال من مكة عن يمين الجبل بطريق منى ، وكان عبد الصمد بن علي اتخذه مسجدا ؛ لأن به شجرة ، ذكر أنها سر تحتها سبعون نبيا ، ولا يعرف الآن إلا جهته ، والسّرر ـ بكسر السين وفتح الراء ـ ك «عنب» على ما في القاموس. وقال ابن حجر في شرح الإيضاح : والسرر : مثلث السين ، جمع سرة ـ وبعد الباقي بعد القطع ـ وهو محل شريف.

روى مالك والنسائي وغيرهما عن ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إذا كنت بين الأخشبين من منى ـ ونفخ بيده نحو المشرق ـ فإن هناك واديا يقال له : وادي السرر ، به سرحة سر تحتها سبعون نبيا) ..

(سبعون نبيا) أي قطعت سررهم ، يعني : أنهم ولدوا تحتها ، والسرحة : الشجرة العظيمة ، وهي غير موجودة الآن ، بل ولم يعرف موضعها.

[٢٠١] [مسجد النحر] :

ومنها مسجد النحر : وهو بين الجمرة الأولى والوسطى على يمين الذاهب إلى عرفة ، يقال : إن النبي صلى الله عليه وسلم صلّى فيه الضحى ، ونحر هديه عنده ، كذا وجد في حجر مكتوب فيه.

[٢٠٢] [مسجد الكبش] :

ومنها مسجد الكبش : على يسار الصاعد إلى عرفة ، بسفح ثبير ، وهو مشهور سمي به ؛ لأنه ذبح فيه الكبش الذي فدى به إسماعيل وإسحاق عليهما السلام على الخلاف.

ونقل الفاسي عن الفاكهي : ما يقتضي أن الكبش نحر بين الجمرتين ، ويؤيده ما أخرج الطبراني عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : (أن النبي صلى الله عليه وسلم نحر في منحر الخليل عليه السلام الذي نحر فيه الكبش المفدى) ، ثم قال : وذلك في سفح الجبل المقابل له ، يعني لثبير ، فيكون ذلك عند مسجد النحر المتقدم ذكره. والله أعلم.

وفي البيضاوي : قيل كان كبشا من الجنة ، وقيل : كان وعلا أهبط إليه من ثبير.

[٢٠٣] [موضع محاولة ذبح سيدنا إسماعيل] :

وأما موضع سيدنا إسماعيل للذبح ، فقال البيضاوي : كان ذلك عند الصخرة ، محلّ بمنى ، أو في الموضع المشرف على مسجده ، أو المنحر الذي ينحر فيه اليوم.

[٢٠٤] [مسجد عائشة رضي الله عنها]

ومنها مسجد عائشة رضي الله عنها : وهو بسفح ثبير أيضا فوق مسجد الكبش ، وهو غار لطيف ، عليه بناء دائر ، ويسمى : معتكف عائشة ، وبيت أم المؤمنين.

[٢٠٥] [مغارة الفتح] :

ومنها مغارة الفتح : هي في سفح ثبير قريبا من معتكف عائشة ، أنشأها صاحب القاموس رحمه الله تعالى.

[٢٠٦] [جبل ثبير] :

ومنها : جبل ثبير ، ويسمى : ثبير الأثبرة ، وعرف بذلك ؛ لأنه أعلاها وأطولها ، قيل : إنما سمى ثبير باسم رجل من هذيل دفن فيه ، وهو على يسار الذاهب إلى عرفة ، وقيل على يمينه.

وقد تقدم ما يشير إلى إمكان الجمع بين القولين ، وقد ذكروا في اللغة أن ثبيرا اسم لسبعة أماكن بمكة وما في بلاد مزينة ، وهو جبل عظيم ، أحد شظايا جبل الطور ، الذي تجلى له الرب ، وكان صلى الله عليه وسلم يتعبد فيه قبل النبوة [أمام] ظهور الدعوة ؛ ولذا جاورت به أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أيام إقامتها بمكة ، كذا ذكره صاحب القاموس.

ومن فضله ما قاله القاضي عياض ، والسهيلي في الروض : (إن قريشا لما طلبوا النبي صلى الله عليه وسلم ، كان على ظهر ثبير ، فقال : اهبط عني يا رسول الله ، فإني أخاف أن تقتل وأنت على ظهري ، فيعذبني الله. فناداه حراء : إليّ يا رسول الله).

وذكر بعض العلماء : أن مما يستجاب فيه الدعاء بمنى مسجد الخيف ، وذكر النقاش : في ثبير الأثبرة ، وفي مسجد الكبش ، ومسجد النحر [1].

[٢٠٧] [مسجد البيعة] :

وذكر ابن الجوزي : مسجد البيعة ، وغار المرسلات ، ومغارة الفتح ؛ لأنها من ثبير.

ومما قرب منهما مسجد العقبة ، ويسمى مسجد البيعة ، وهو في شعب

على يسار الذاهب إلى منى قبل العقبة بيسير ، وهو معروف ، وهو الـذي بايع النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار فيه بحضرة عمه العباس ، ولعلـه إنـما سمي بمسجد العقبة لقربه منها ، وإلا فليس على العقبة مسجد مأثور.

[٢٠٨] [**خصائص منى**] :

ومن خصائصها : أن حصى الجمار على كثرته وتزايده في كل عام ينمحـق ويذهب ، ويرى على قدر واحد ، وقد ورد إنّ ما تقبّل رفع ، ولو لا ذاك لصـار آكاما.

ومنها أن اللحوم تشرق في ثبير من أماكنها وهي محروسة بحفظ الله تعالى من الطيور مع ما يشاهد من [الحدآن] ، مع انقضاضها لخطف ما تراه من شيء أحمر بيد إنسان أو رأسه ، وهي تحوم عليهـا ولا تسـتطيع أن تأخـذ منهـا شيئا.

ومنها : أن الذباب لا يقع في أيامها على شيء من الطعام ولو عسـلا ، بـل ولا يحوم عليه مع كثرة العفونات الجالبة له ، وإذا مضت أيامهـا تهافتـت عـلى ذلك حتى لا يطيب طعام لطاعم.

ومنها : اتساعها للحجيج ، وعن أبي الدرداء رضي الله عنـه قـال : قلنـا يـا رسول الله! إنّ أمر منى لعجيب هي ضيّقة ، فإذا نزلها النـاس اتسـعت ، فقـال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (منى كالرحم إذا حملت وسعها الله).

ومنها : أن البعوض كثيرة جدا بها طول السنة ، إلا في أيام الموسم ، فيقل جدا ، بل لا يوجد ، وإن وجد القليل فلا يؤذي ، كما قال العلامة بن ظهيرة وجرّبه.

والحاصل : أن منى محل شريف ، ومنزل لطيف ، وقد تغزل الشعراء والأخيار فيها وفي خيفها بأشعار : فمن ذلك ما قاله الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي رحمه‌الله:

بوادي منى نلنا المنا إذ تبسمت ... ليال وأيام ملاح المباسم

سرور بعيد واجتماع أحبة ... وقرب وقربان وعز مواسم

ولبعضهم:

ما لقلبي ما يقر قراره ... حتى تقضّى من منى أوطاره

ما ذاك إلا من تلهب شوقه ... يسبيه من وادي منى تذكاره

يا حادي الأظعان إن جزت الحمى ... سلّم على من بالمحصّب داره

واشرح لهم ما يلتقي مشتاقه ... من فرط شوق أحرقته ناره

يصبو إلى ذكر الحطيم وزمزم ... والركن والبيت المكرم جاره

ولآخر رحمه‌الله تعالى :

أيا حادي الأظعان جز بي على منى ... وبرد لظى أحشاي بالجمرات

وقف بي على ذاك المقام فإن لي ... به أربا أقضيه قبل وفاتي

ومر بي إلى البيت العتيق وخلني لديه وما أبديه من زفراتي

ولمجنون بني قيس العامري:

ولم أر ليلى غير موقف ساعة بخيف منى ترمي جمار المحصب

وتبدي الحصى منها إذا قذفت بها من البرد أطراف البنان المخضب

فأصبحت من ليل الغداة كناظر مع الصبح في أعقاب نجم مغرب

ومن ذلك قول ابن الجوزي :

سقى منى وليالي الخيف ما شربت من المياه وحيّاها وحيّاك

الماء عندك مبذول لشاربه ولا ترويك إلا دمعة الباكي

ثم انثنينا إذا ما هزنا طرب على الرحال تعللنا بذكراك

وله أيضا رحمه‌الله تعالى:

فلما قضينا من منى كل حاجة ومسّح بالأركان من هو ماسح

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطي الأباطح

بكينا على ما كان من زمن الهوى ولم يعلم الغادي بمن هو رايح

[٢٠٩] ١٧ـ [من أماكن الإجابة الركن اليماني]

يمان ، أي مما يستجاب فيه الدعاء عند الركن اليماني ، وأيضا ما بين الركنين ، وقيده النقاش بوقت الفجر ، والإطلاق هو الظاهر. والله أعلم.

وهو من الأماكن العظيمة ، وله فضل كبير قال في العهود المحمدية ، وروى الإمام أحمد بإسناد حسن والطبراني مرفوعا : (أن الركن اليماني يوم القيامة أعظم من أبي قبيس ، له لسان وشفتان) ، زاد في رواية الطبراني : يشهد لمن استلمه بالحق ، هو يمين الله عزوجل التي يصافح بها خلقه. وروى ابن عباس رضي‌الله‌عنهما أن رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال : (ما مررت بالركن اليماني إلا وعنده ملك ينادي آمين آمين ، فإذا مررتم به فقولوا : اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار).

وعن ابن عمر رضي‌الله‌عنهما : «ملكان يؤمنان».

وعن أبي هريرة ـ رضي‌الله‌عنه ـ مرفوعا : (وكّل بالركن اليماني سبعون ملكا ، من قال : اللهم إني أسالك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة ، ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار. قالوا : آمين).

قال الشيخ ابن جماعة : ولا تعارض بين الأحاديث على تقدير الصحة، إذ يحتمل أن السبعين موكلون به ، لم يكلفوا التأمين ، وإنما يؤمّنون عند سماع الدعاء ، والملكان كلفا قول آمين.

وروى الحاكم أنه صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال : «ما انتهيت إلى الركن اليماني قط إلا وجدت جبريل عنده. فقال : قل يا محمد! قلت : وما أقول؟ قال : اللهم إني أعوذ بك من الكفر ، والفاقة ، ومواقف الخزي في الدنيا والآخرة.

ثم قالةجبريل : إن بينهما ألف ملك ، فإذا قال العبد هذا ، قالوا : آمين». قال العلامة ابن حجر : قوله (سبعون) كذلك رأيته ، فإن صح فهو على حذف ضمير الشأن ، أو على ألف. انتهى.

وعن عطاء قال : يا رسول الله إنك تكثر من استلام الركن اليماني؟! قال : (ما أتيت عنده قط إلا وجبريل قائم عنده يستغفر لمن يستلمه).

وعنه صلىاللهعليهوسلم قال : (عند الركن اليماني باب من أبواب الجنة ، والركن الأسود باب من أبواب الجنة).

وعن مجاهد : (ما من إنسان يضع يده على الركن اليماني ويدعو إلا استجيب له ، وإن بين الركن اليماني والركن الأسود سبعين ألف ملك لا يفارقونه هم هنالك منذ خلق الله البيت).

[٢١٠] [**استلام الركن اليماني**] :

تتمة : استلام الركن اليماني مستحب في كل شوط.

واستلامه : لمسه بكفيه ، أو بيمينه دون يساره ـ كما يفعله الجهلة والمتكبرة ، ـ من غير تقبيل ولا سجود عليه ، وقال محمد : هو سنة ، ويقبّله مثل الحجر الأسود.

قال في البحر : والدلائل تشهد له ، وعن محمد : يستلمه ويقبل يديه ولا يقبله ، ولا خلاف في أن تقبيله ليس بسنة ، وإن عجز عن استلامه لا يشير إليه إلا على رواية عن محمد.

ويستحب أن يدعو عنده بدعاء آدم عليه‌السلام ، وبالوارد المتقدم وبما تقدم في أدعية الطواف.

وأما الركنان الآخران : فلا يستلم واحدا منهما عند جمهور أهل العلم.

[٢١١] ١٨ـ [حالة رؤية البيت من موا ـن الإجابة]

رؤية البيت الأغر ، أي : مما يستجاب الدعاء فيه ، المكان الذي أول ما يرى البيت منه ، وتقدم أنه من أحوال الإجابة ، ولا مانع أن يكون في كليهما ، والمراد أنه يستجاب في كل مكان يراه.

وهل هو مختص بالقادم من سفر أو بالمتلبس بالنسك؟ ، أم لكل راء عند قصده له ، أو رؤيته من غير قصد إليه؟ والله أعلم بغيبه.

وروى الطبراني عن أبي هريرة : (يستجاب دعاء المسلم عند رؤية الكعبة) ، وهو وإن كان سنده ضعيفا فيعمل به في الفضائل.

وقد ذكر في المناقب : أن أبا حنيفة ـ رحمه‌الله تعالى ـ أوصى رجلا يريد السفر إلى مكة أن يدعو الله عند مشاهدة البيت باستجابة دعائه ، فإذا استجيبت هذه الدعوة صار مستجاب الدعوة.

[٢١٢] [ما ينبغي فعله عند رؤية الكعبة] :

ويسنّ التكبير والتهليل والصلاة على النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم عند رؤية البيت للقادم بالنسك ، لحديث جابر رضي‌الله‌عنه : (أنه صلى الله عليه وسلم كبر ثلاثا وقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، سبحان الله والحمد لله ، ثم قال بلا رفع يد على المذاهب : اللهم زد بيتك هذا تعظيما وتشريفا وتكريما وبرا

ومهابة ، ويقول : أعوذ برب البيت من الكفر والدّين والفقر ، ومن ضيق الصدر وعذاب القبر ، ويدعو بما بداله).

ومن أهم الأدعية : طلب [تيسير] الحساب ، وينبغي أن يقول ذلك عند أول كل رؤية والأعز الأنور.

[٢١٣] ١٩ـ[إجابة الدعاء في الحجر]

وحجر ، أي : مما يستجاب فيه الدعاء بجميع الحجر ، لا خصوص تحت الميزاب فقط ، والحجر ـ بكسر الحاء ـ عرصة مرخمة عليها جدار على صورة نصف دائرة خارجة عند جدار البيت في جانب الشمال ، ذرعه من جدار الكعبة ، الذي فيه الميزاب إلى ما لا يقابله خمسة عشر ذراعا ، وما بين الفرجتين سبعة عشر وقيراطان، وأول من رخمه العباس في سنة أربعين ومائة لّما حجّ ، في بعض ليلة ، ثم جدد بعد ذلك مرارا : وهو الحطيم عندنا ، وسمي حجرا ؛ لأنه حجر من البيت ، أي : منع من الدخول فيه ، وحطيما ؛ لأنه حطم من البيت ، أي : لأنه كسر منه ، أو لأن من دعا عليه فيه حطمه الله كما جاء في الحديث ، وهو من أفضل أماكن الإجابة ؛ لأنه كله أو بعضه من البيت.

[٢١٤] [أحاديث إدخال الحطيم في الكعبة] :

وروي : أن عائشة رضي‌الله‌عنها نذرت لئن فتح الله على رسوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم [مكة لتصليّن في الكعبة] فأخذ بيدها وأدخلها الحطيم ، وقال : (صلّي هاهنا فإن الحطيم من البيت ، إلّا أن قومك قصرت بهم النفقه فأخرجوه من البيت ، ولو لا حدثان قومك بالجاهلية لنقضت بناء البيت ،

وأظهرت قواعد الخليل وأدخلت الحطيم في البيت وألصقت العتبة بالأرض، وجعلت له بابا شرقيا وبابا غربيا، ولئن عشت إلى قابل لأفعلن ذلك). فلم يعش ولم يتفرغ لذلك أحد من الخلفاء الراشدين، حتى كان في زمن عبد الله بن الزبير ـ وكان سمع الحديث منها ـ ففعل ذلك وأظهر قواعد الخليل عليه السلام، وبنى البيت على قواعد الخليل صلى الله عليه وسلم بمحضر ـ من الصحابة وأدخل الحطيم، فلما قتل، كره الحجّاج بناء الكعبة على ما فعله ابن الزبير فنقض بناءها، وأعاده على ما كان عليه في الجاهلية.

[٢١٥] [سبب إخراج قريش الحطيم]:

كذا ذكره مشايخنا في كتبهم، وسبب إخراج قريش له كما قيل: أنه لما قصرت نفقتهم كرهوا أن يدخلوا فيه شيئا من المال الخبيث، ورأوا أن إخراج ذلك أهون من إدخال الخبيث فيه، وكان ذلك قبل البعثة بخمس سنين.

وروي عنها أيضا قالت: كنت أحب أن أدخل البيت فأصلي فيه، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي وأدخلني الحجر، وقال: (صلي فيه إن أردت دخول البيت، فإنما هو قطعة من البيت).

[٢١٦] [قدر الكعبة في الحطيم]:

وعنها أيضا: (سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحجر هل هو من البيت؟ قال: نعم)، وكان هذا يدل على أن جميعه من البيت. والصحيح: أن ستة أذرع منه من البيت أو ما يقارب السبعة، كما جاء مصرحا في حديثها

الآخر ، (لو لا قومك) إلى أن قال : (ولزدت فيه ستة أذرع من الحجر ، تركتها قريش لقصر النفقة).

وفي آخر عنها (فهلمي لأريك ما تركه قومك ، فأراها قريبا من سبعة أذرع) ؛ لأنه يحمل المطلق المتقدم على هذا المقيد ، وإطلاق اسم الكل على البعض جائز على سبيل المجاز ، كما أشار إليه المحب الطبري.

وعن هذا قال ابن العربي : خلصنا الله به من ضيع سدنة الكعبة.

[٢١٧] [فضل الحطيم] :

ومن فضله ما روى عن علي رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي هريرة : (إن على باب الحجر ملكا يقول لمن دخله وصلى فيه ركعتين : مغفورا لك ، امض فاستأنف العمل ، وعلى بابه الآخر ملك منذ خلق الله الدنيا إلى يوم يرفع الله البيت ، يقول لمن صلّى فيه وخرج : مرحوما إن كنت من أمة محمد تقيّا).

ومن فضائله أن فيه قبر إسماعيل وأمه هاجر عليهما السلام.

وفي البحر العميق لابن الضياء عن الفقيه إسماعيل الحضرمي أنه لما حج سأل المحب الطبري عن ثلاث مسائل : الحفرة الملاصقة للكعبة ، وعن البلاطة الخضراء التي في الحجر ، وعن القبرين اللذين يرجمان بأسفل مكة عند جبل البكاء؟ ، فأجاب : بأن الحفرة مصلى جبريل عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وسلم ، والبلاطة الخضراء قبر إسماعيل عليه السلام ، ويشبر من

رأسها إلى ناحية الركن العراقي مما يلي باب بني سهم ستة أشبار ، فعند انتهائها يكون رأس إسماعيل عليه السلام ، وأما القبران المرجومان فهو : أن البيت الشريف أصبح يوما في دولة بني العباس ، وقد لطخه رجلان بالعذرة، فقبض عليهما أمير مكة ، واستأذن الخليفة في أمرهما ، فأمر بصلبهما في هذا الموضع وصارا يرجمان إلى الآن.

[٢١٨][أحكام الحجر] :

تتمة : لا يجوز استقبال الحجر في الصلاة عوضا عن الكعبة ، وإن قلنا إن بعضه من البيت أو كله ؛ لأن ذلك بالظن ، وأما الصلاة في القدر منه من البيت ، فقال العلامة أبن ظهيرة : حكمها حكم الصلاة في الكعبة ، يجرى فيه الخلاف المذكور فيها ، والطواف به واجب، وإتيان الحجر والصلاة فيه مستحب ، وينبغي أن يقول إذا دخله : يا رب أتيتك من مسافة بعيدة فأنلني عروفا من معروفك ، تغنيني به عن معروف من سواك ، يا معروفا بالمعروف.

[٢١٩] ٢٠ـ[السدرة بعرفات]

ولدى السدرة ، أي : ومما يستجاب فيه الدعاء ، عند السدرة بعرفات ، أي : تحتها وبقربها بوقت الظهر ، أو على الإطلاق ، وهي لا تعرف اليوم ولا محلّها.

عشرون غرر ، أي : عدتها عشرون محلا نيرات لما يستجاب فيه من الدعوات ، وهذا ما ذكره الحنفية في المناسك ، وليس فيه حصر ، فلا ينبغي أن

[لا] يكون هناك أخر يستجاب فيها الدعاء ؛ لأن الحرم مكان شريف ، حتى قال بعضهم : إن الدعاء يستجاب في جميعه.

[٢٢٠] [مواضع أخر يستجاب فيها الدعاء] :

ونقل بعضهم عن الإمام أبي بكر بن محمد بن الحسن النقاش رحمه الله : أنه يستجاب الدعاء في أربعين بقعة بمكة بعضها مؤقت ، وبعضها مطلق ، فذكر منها ما تقدم نظما في متنها.

ومنها : عند الدخول من باب بني هاشم. قال الشيخ إدريس : وهو باب السلام ، والمعروف بباب بني هاشم هو باب علي.

وفي دار خديجة ليلة الجمعة.

وفي مولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين عند الزوال.

وفي دار الخيزران بين العشاءين.

وفي مسجد الشجرة يوم الأربعاء.

وفي المتكأ غداة الأحد.

وفي جبل ثور عند الظهر.

وفي حراء مطلقا.

وذكر الشيخ أبو سهل النيسابورى : أن المواضع التي يستجاب فيها الدعاء بالمسجد الحرام خمسة عشر ، وعد منها : باب بني شيبة ، يسمى الآن باب السلام ، وهو معروف.

وذكر بعضهم في المناسك ما يدل على أنه العقد الذي خلف المقام.

وباب إبراهيم خياط عنده، ونسبه إلى الخليل بعده.

وباب النبي صلى الله عليه وسلم، وهو المعروف بباب الحريرين، ويسمى باب الجنائز، وقيل إنه هو باب السلام.

وباب الصفا.

ومجاور المنبر حيث يقف المحمديون والله أعلم.

[٢٢١] [فضل الحرم وفضائله]:

خاتمة: ختم الله لنا بالحسنى، اعلم أن كل ما قدم يرجع إلى الحرم الشريف، فينبغي الكلام عليه وعلى شيء من فضله وفضائله، وخصائصه وفضل أهله.

[٢٢٢] [حدود الحرم]:

أما الحرم: فهو ما أحاط بمكة من جوانبها إلى الحدود، وسمي بذلك لحرمته.

وفي سبب كونه حرما أقوال:

[٢٢٣] [أنصاب الحرم]:

إما أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض خاف على نفسه من سكان الأرض، وهم يومئذ الجن والشياطين، فبعث الله ملائكة يحرسونه، فوقفوا في موضع أنصاب الحرم من كل جانب، فصار ما بينه وبين وقوفهم حرم.

أو لأن الحجر الأسود لما وضعه الخليل عليه‌السلام في الكعبة حين بناها أضاء يمينا وشمالا ، وشرقا وغربا ، فحرم الله عزوجل من حيث انتهى النور.

أو لأنه لما أهبط الله البيت إلى آدم وهو من ياقوتة حمراء تلتهب التهابا ، وله بابان شرقي وغربي ، فأضاء نوره ما بين المشرق والمغرب ، ففزع لذلك سكان الأرض ، ورقوا في الجوّ ينظرون من أين ذلك النور ، فلما رأوه من مكة أقبلوا إليه ، فأرسل الله الملائكة فقاموا في مكان الأنصاب فمن ثم ابتدأ اسم الحرم.

وقال السهيلي رحمه‌الله : روي في تفسير أن الله تعالى لما قال للسموات والأرض (ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ)، لم يجبه بهذه المقالة من الأرض إلا أرض الحرم ؛ فلذلك حرمها ، فصارت حرمتها كحرمة المؤمن ، إنما حرم دمه وعرضه وماله بطاعته لربه ، وأرض الحرم لما قالت أتينا طائعين ، حرم صيدها وشجرها وخلاها ، فلا حرمة إلا لذي طاعة ، جعلنا الله من أهل طاعته.

[٢٢٤] [تجديد الأنصاب] :

وأول من نصبها : الخليل عليه‌السلام بتوقيف جبريل عليهما‌السلام ، ثم جددها قصي بن كلاب بعده ، وقيل : بل جددها إسماعيل بعد أبيه عليهما‌السلام ، ثم قصي بعده ، وقيل : أول من نصبها عدنان ابن الدحيل ؛ لخوفه أن يدرس الحرم ، ثم نزعتها قريش بعد ذلك ، والنبي

صلى‌الله‌عليه‌وسلم كان بمكة قبل الهجرة ، فاشتد ذلك عليه ، فجاءه جبريل وأخبره أنهم سيعيدونها ، فرأى عدة من قريش في المنام كأن قائلا يقول : حرم أعزكم به ومنعكم نزعتم أنصابها ، الآن تخطفكم العرب ، فأعادوها ، فأخبر جبريل النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم بذلك فقال : هل أصابوا في ذلك؟ فقال : ما وضعوا نصبا إلا بيد ملك ، ثم جددت عام الفتح بأمره صلى‌الله‌عليه‌وسلم ، وجددت أيضا في زمن عمر ، وعثمان ، ومعاوية ، وعبد الملك بن مروان ، والمهدي العباسي.

[٢٢٥] [**خصائص الحرم**] :

وأما فضله فقال تعالى : (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْباطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللهِ يَكْفُرُونَ)، وقال : (أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبى إِلَيْهِ ثَمَراتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِنْ لَدُنَّا وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ).

وعن ابن عباس رضي‌الله‌عنهما : أن النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم خطب يوم فتح مكة فقال : (إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ، ولم يحل إلا ساعة من نهار فهو حرم بحرمة الله تعالى إلى يوم القيامة ، لا يعضد شوكه ، ولا ينفر صيده ، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ، ولا يختلى خلاه) إلى آخر الحديث ، فقال العباس رضي‌الله‌عنه : إلا الإذخر فإنه لقينهم ولبيوتهم ، فقال : إلّا الإذخر) ، متفق عليه.

[٢٢٦][الحرم آمن] :

ولفظ الصحيحين : ولا يعضد شجرها ، يعني : مكة والمراد : إلا الحرم ، وهذا يدل : على أن الحرم كان آمنا منذ خلق الله السموات والأرض ، وهو الصحيح.

وقال بعض العلماء : إنه كان بسؤال الخليل عليه‌السلام ، فإن قيل ثبت عنه صلى‌الله‌عليه‌وسلم : (إن إبراهيم حرّم مكة ، وإني حرّمت المدينة) أجيب : إن إبراهيم عليه‌السلام إنما أظهر حكم التحريم بعد أن كان مهجورا.

وسببه : أن الطوفان لما وقع اندرس البيت الحرم الشريف ، ونسي ذلك الحكم وهجر ، والذي تجدد بسؤال إبراهيم هو أن يجعله آمنا من الجدب والقحط وأن يرزق أهله من الثمرات. كذا قاله العلامة الظهيري.

فائدة : ذكرتها للتنبيه عليها : قال الشيخ محمد بن جار الله : وفي حكم الإدخر السّنا ونحوه مما يحتاج إليه. أهـ.

أقول : وفيه نظر لا يخفى ، فإن الحطب والحشيش ونحوه مما يحتاج إليه أكثر من ذلك ولم يستثن العلماء إلا الإذخر، والكمأة اليابسة ، فقول الشيخ ذلك ، يظهر أنه خلاف المذهب. والله أعلم.

نعم إن قيل يباح ذلك مع لزوم الجزاء للضرورة فغير بعيد.

[٢٢٧] [فضل الموت في الحرم] :

ومن حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في شأن الكعبة : (أن آدم سأل ربه عزوجل فقال : يا رب أسألك من حجّ هذا البيت من ذريتي لا يشرك بك شيئا أن تلحقه بي في الجنة. فقال الله تعالى : يا آدم من مات في الحرم لا يشرك بي بعثته آمنا يوم القيامة).

وعن سلمان مرفوعا : (من مات في أحد الحرمين استوجب شفاعتي ، وكان يوم القيامة من الآمنين).

وعنه صلى الله عليه وسلم : (من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا).

[٢٢٨] [تعظيم الحرم] :

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : «كانت الأنبياء عليهم السلام يدخلون الحرم مشاة حفاة».

وعنه قال : «حجّ الحواريون ، فلما بلغوا الحرم ، مشوا تعظيما له».

وروي (أنه صلى الله عليه وسلم كان بمكة إذا أراد قضاء حاجته يخرج إلى المغمّس)، وهو على يمين الواقف بجبل عرفات.

وروى أبو علي بن السكن في سننه : (أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كان بمكة إذا أراد حاجة ، خرج إلى العمرة).

وحكي ذلك عن كثير من أكابر التابعين وغيرهم ، حتى نقل عن الشيخ أبي عمرو الزجاجي أحد السادة الصوفية المشهورين : أنه أقام بمكة أربعين سنة لم يبل ولم يتغوط في الحرم.

وعن جابر رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لما عقر ثمود الناقة وأخذتهم الصيحة ، لم يبق منهم إلا رجلا واحدا كان في حرم الله فمنعه الحرم ، فقالوا من هو يا رسول الله؟ فقال : أبو رغال أبو ثقيف ، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه) رواه مسلم . ورغال ـ بالغين المعجمة ـ ككتاب ، ويقال إن قبره بالمغمس باق إلى الآن ، والحديث فيه ردّ لما نقله الزمخشري: أن النبي صالح عليه السلام وجهه على صدقات ثقيف فأساء السيرة فقتلوه ، وهو الذي يرجم قبره بمكة.

وكذلك ما قال في القاموس من سنن أبي داود [ودلائل النبوة] وغيرهما : عن ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجنا معه إلى الطائف مررنا بقبر فقال: (هذا قبر أبي رغال وهو أبو ثقيف وكان من ثمود وكان بهذا الحرم يدفع عنه ، فلما خرج منه أصابته النقمة التي أصابت قومه بهذا المكان ، فدفن فيه) الحديث.

وقول الجوهري : كان دليلا للحبشة حين توجهوا إلى مكة ، فمات في الطريق. غير جيد ، وكذا قول ابن سيدة : كان عبدا لشعيب وكان عشّارا جائرا. ا هـ .

انتهى كلامه ، وكلا الحديثين يشهدان للقول بأنه بالمغمّس.

[٢٢٩] [فضائل الحرم] :

وأما فضائله فغير محصورة :

فمنها : كون مكة المشرفة منه ، وقد اختلف فيها ، فقيل : هي القرية.

وقيل : الحرم كله ، وقيل : ذي طوى ، وقيل : ما حوالى البيت.

[٢٣٠] [سبب التسمية بمكة وبكة وبغيرهما] :

سميت بذلك ، لأنها تمك الجبابرة ؛ أي : تهلكهم وتذهب نخوتهم ، أو لأنها تمك الفاجر عنها ، أي : تخرجه ، [أو : لأنها تجهد] أهلها من قولهم : تمككت العظم إذا أخرجت مخه ، والتمكك الاستقصاء ؛ أو لأنها تجذب الناس إليها ، أو لقلة مائها ، أو لأنها تمك الذنوب أي تمحقها.

وتسمى بكة : لأنها تبك أعناق الجبابرة ، أو لازدحام الناس فيها ، والبك: الزحام.

وأم القرى : لأن الأرض دحيت من تحتها ، قاله ابن عباس ، أو لكونها قبلة يؤمها الناس ، أو لأنها أعظم القرى شانا ، أو لأن فيها بيت الله تعالى ، وجرت العادة بأن الملك وبيته وبلده مقدمون على غيرهم ، وأصل لهم.

والسلام كذلك ، والقرية ، والبلد ، والبلدة ، ومعاد ـ بفتح الميم ـ ، والوادي ، وهذه الثمانية في القرآن ، وأسماؤها كثيرة ، قال النووي رحمه الله تعالى : لا يعلم بلد أكثر أسماء من مكة والمدينة ؛ لكونهما أفضل بقاع الأرض.

وقد ذكر منها ابن ظهيرة ما يقارب الخمسين ونيفا ، ونظم منها القاضي بن الضياء من الحنفية ما ينوف على ثلاثين فقال :

لمكة أسماء ثلاثون عدّت ومن بعد ذاك اثنان منها اسم بكة
صلاح ، وكوثي ، والحرام وقادس وحاطمة ، البلد ، العريش ، بقرية
ومعطشة ، أم القرى رحم باسّة ونساسه رأس بفتح الهمزة
مقدسة ، والقادسية ، ناسة ورأس رتاج أم كوثي كبرة
سبّوحة عرش أم رحمن عرشنا كذا حرم البلد الأمين كبلدة
كذاك اسمها البلد الحرام لأمنها وبالمسجد الأسنى الحرام تسمّت

قال العلامة الظهيري : ومن أراد الوقوف على اشتقاق كل اسم مع ذكر شواهده وفوائده ، فليراجع صحيح البخاري للقاضي مجد الدين رحمه‌الله تعالى إن وجده ، مع أنه معنى كثير منها.

[٢٣١] [ما جاء في فضل مكة بالكتاب والسنة] :

وأما فضلها فقال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه‌السلام : (رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً)، و (رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً)، يعني : مكة ، وقال : (إِنَّما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَها)، وقال : (لا أُقْسِمُ بِهذَا الْبَلَدِ)، (وَهذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ)، والمراد في كل ذلك بمكة.

وفي الصحيح : (أنه ليس من بلد إلا سيطؤه الدّجال إلا مكة والمدينة ، ليس نقب من نقابها إلا وعليه الملائكة صافين يحرسونها) ، والنقب ـ بفتح النون وسكون القاف ـ : الباب ، وقيل : الطريق.

وروى النسائي ، وأحمد ، وابن ماجه ، وعبد الرزاق ، وابن حبان ، والضياء المقدسي ، والطبراني عن عبد الله بن عدي بن المعمر الزهري رضي‌الله‌عنه قال : رأيت رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم على راحلته واقفا بالحزورة يقول : (والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ، ولو لا أني أخرجت منك ما خرجت) حديث حسن ، أخرجه أصحاب السنن وصححه جماعة منهم الترمذي .

وفي رواية أبي هريرة : أن رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم وقف بالحزورة وقال : (إنك لخير أرض الله ، ولو تركت فيك ما خرجت منك).

وفي أخرى : (لقد عرفت أنك أحب البلاد إلى الله ، وأكرمها على الله ، ولو لا أن قومي أخرجوني ما خرجت) الحديث.

وفي رواية أخرى عن ابن عباس ـ رضي‌الله‌عنهما ـ : (ما سكنت غيرك) ، وأيضا أن ذلك كان في عمرة القضية حين سألته قريش أن يخرج من مكة بعد الثلاثة الأيام التي وقع الشرط عليها ، لا حين خروجه إلى الهجرة ؛ لأنه خرج مستخفيا كما قاله بعض العلماء.

وذكر الأزرقي في تاريخه : أن ذلك عام الفتح.

فيحتمل أنه قاله مرتين ، ولا تنافي ، ويكون فيه من كمال تعظيم مكة ما ليس بخاف.

والحزورة ـ بحاء مهملة وزاي ـ كقسورة ، والمحدِّثون يشددونها كالحديبية ، والصواب : التخفيف ، كذا قال الشافعي ، والدارقطني رحمهما الله تعالى.

وهذا يدل على فضل مكة على سائر البقاع ، إلا ما ضم أعضاءه الشريفة ، فإنه أعظم منها بالإجماع ، بل ذلك من العرش وما حوله بلا نزاع.

[٢٣٢] [هل مكة أفضل من المدينة؟] :

وكون مكة أفضل ، فقول أكثر العلماء : كأبي حنيفة ، والشافعي ، وأحمد ، ووهب وابن حبيب ، ومطرف من المالكية ، وروي عن جماعة من أكابر الصحابة منهم : عمر ، وعلي ، وابن مسعود ، وجابر ، وعبد الله بن الزبير ، وقتادة رضي الله عنهم.

وحكى ابن عبد البر أنه روي عن مالك ما يدل على : أن مكة أفضل الأرض كلها.

وذهب مالك ، وجمهور أصحابه ، وأكثر أهل المدينة ، وإحدى الروايتين عن أحمد رحمهم الله تعالى : إلى تفضيل المدينة عليها ، وهو مذهب عمر بن الخطاب ، وكثير من الصحابة رضي الله عنهم.

واستدلوا على ذلك بأحاديث ، منها : قوله صلى الله عليه وسلم : (وما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة) مع قوله عليه الصلاة والسلام : (موضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها).

قال ابن عبد البر : هذا استدلال بالخبر في غير ما ورد فيه ، ولا يقاوم النص الوارد في فضل مكة ، وساق حديث أبي سلمة عن ابن الحمراء وقال : هذا نص في محل الخلاف ، فلا ينبغي العدول عنه.

وأما ما روي من أنه عليه الصلاة والسلام قال : (اللهم إنك تعلم أنهم أخرجوني من أحب البلاد إلي ، فأسكني في أحب البلاد إليك) فلا يختلف أهل العلم في نكارته ووضعه ، وسئل عنه الإمام مالك رحمه الله؟ فقال : لا يحل لأحد أن ينسب الكذب الباطل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى تقدير صحته فلا دلالة فيه ؛ إذ العادة والعرف أن الإنسان لا يسأل ما أخرج منه ، فإنه قال : أخرجني منها فأسكني ، فدل على إرادة غير المخرج منه ، فتكون مكة مسكوتا عنها [من الحديث]. كذا قال المحب الطبري رحمه الله تعالى.

وأما حديث : (المدينة خير من مكة) فضعيف ، بل قيل بوضعه.

وأما ما في الصحيحين من قوله صلى الله عليه وسلم : (اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما بمكة من البركة (٤)) فهو ونحوه إنما يدل على فضيلتها لا أفضليتها كما لا يخفى. كذا قال الفخر العلامة ابن ظهيرة.

وأما قوله عليه الصلاة والسلام : (اللهم حبّب إلينا المدينة كحبنا مكة وأشد) وفي رواية (لأشد) فذلك تسلية عنها بعد وجود المانع من سكناها. والله أعلم.

[٢٣٣] [في فضل سكني مكة والموت فيها] :

وفي المدارك عنه صلى الله عليه وسلم : (من صبر على حرّ مكة ساعة من نهار تباعدت عنه جهنم مسيرة مائتي عام).

وأخرج الجندي عنه صلى الله عليه وسلم : (من مات بمكة بعثه الله من الآمنين يوم القيامة).

وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من مات بمكة أو بطريق مكة بعث من الآمنين) ذكره ابن جماعة في منسكه.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : لو لا الهجرة لسكنت مكة ، إني لم أر السماء بمكان أقرب منها ، ولم يطمئن قلبي ببلد ما اطمأن بمكة.

ويروى أن قريشا وجدوا بالركن كتابا بالسريانية فلم يدروا ما فيه ، حتى قرأه رجل من اليهود فإذا فيه : «أنا الله ذو بكة ، خلقتها يوم خلقت السموات والأرض ، وصورت الشمس والقمر ، وحفظتها بسبعة أملاك حتفا لا تزول حتى يزول أخشابها ، مبارك لأهلها في الماء واللبن» ، وفي رواية : في الماء واللحم.

والأخشبان : أبو قبيس ، والجبل المقابل له.

والحاصل : أن فضل مكة عظيم ، وقد أطال الحسن البصري رحمه الله تعالى من فضائلها في رسالته.

وقد يدفن في البقعة التي أخذ منها ترابه عند ما خلق ، قال الحافظ ابن حجر : وعلى هذا فقد روى الزبير بن بكّار : (أن جبريل عليه السلام أخذ التراب الذي خلق منه النبي صلى الله عليه وسلم من تراب الكعبة فرجع الفضل المذكور إلى مكة). والله تعالى أعلم.

تنبيه لطيف : قال بعض العلماء : يؤخذ من (قولهم المرء يدفن في البقعة التي أخذ منها ترابه) أفضلية سيدنا أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ؛ لاقتضائه أنهما خلقا من البقعة التي خلق منها النبي صلى الله عليه وسلم.

فائدة : قال ابن حزم : التفضيل المذكور لمكة ثابت لعرفة أيضا ، وإذا كانت من الحل.

[٢٣٤][إطلاق المسجد الحرام] :

وأنها المسجد الحرام وهو يطلق على أربعة معان عند العلماء :

الأول : الكعبة ومنها قوله تعالى : (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ).

الثاني : الكعبة وما حولها من المسجد ، قال النووي : وهو الغالب ، ومنه (سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ) ، وهو قول أنس ، ورجّحه الطبري.

الثالثة : جميع مكة ومنه (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ).

الرابع : جميع الحرم منه ، ومنه قوله تعالى : ﴿إِلَّا الَّذِينَ عاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ﴾، وكان العهد بالحديبية : وهي الحرم. وكذلك ﴿ذلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرامِ﴾، و ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرامَ﴾، قاله ابن عباس.

قال الماوردي : حيث ذكر الله المسجد الحرام في كتابه العزيز فالمراد : الحرم ، إلا قوله تعالى : ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ﴾ ، فإن المراد به : الكعبة شرفها الله تعالى.

[٢٣٥] [**فضل المسجد الحرام**] :

وفضل المسجد الحرام كثير ، وقد ذكره الله تعالى في كتابه العزيز في نحو خمسة عشر موضعا ، وقال صلى‌الله‌عليه‌وسلم : (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى).

وقال صلى‌الله‌عليه‌وسلم : (إن أول مسجد وضع في الأرض المسجد الحرام ، ثم المسجد الأقصى ، وما بينهما أربعون سنة).

وقال صلى‌الله‌عليه‌وسلم : (صلاة في مسجدي خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه). رواه أحمد ، وابن ماجه.

وروي (بألف ألف صلاة) ، وفي رواية : (بمائة ألف ألف) ، وفي أخرى : (بمائة ألف ألف) بتكرير الألف مرتين وثلاثا.

وقال صلى الله عليه وسلم : (صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام ، وصلاة في المسجد الحرام ، أفضل من مائة صلاة في مسجدي). رواه الإمام أحمد بإسناد على رسم الصحيح ، ورواه ابن حبان في صحيحه ، وصححه ابن عبد البر ، وقال : إن مضاعفة الصلاة بالمسجد الحرام على مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بمائة صلاة ، وقال : إنه مذهب أهل الأثر.

وفي الصحيحين : (صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه في المساجد إلا المسجد الحرام).

وروى البيهقي : (صلاة في المسجد الحرام مائة ألف صلاة ، وصلاة في مسجدي ألف صلاة ، وفي بيت المقدس خمسمائة صلاة).

وروي : (صلاة في المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة ، وصلاة المسجد الحرام بمائة ألف صلاة).

ثم قيل على حديث الصحيحين : إن الصلاة بالمسجد لمسجد المدينة ، ورجحه بعضهم ، وقيل : بل أنقص ، وعليه مالك ، وقيل : بل أفضل بمائة ، وقيل بمائة ألف.

[٢٣٦] [المسجد الحرام الذي تضاعف فيه الصلاة] :

واختلفوا في معنى المسجد الحرام الذي تضاعف فيه الصلاة على أربعة أقوال :

الأول : أنه الحرم.

الثاني : أنه مسجد الجماعة ، وهو يؤخذ من كلام الحنفية ، فإنهم قالوا : التفضيل مختص بالفرائض ، وأما النوافل فالبيت أفضل ، فجعلوا حكم البيت غير حكم المسجد ، واختاره بعض الشافعية.

الثالث : أنه مكة ، واختاره بعضهم ، وقال : التضعيف ثبت لكل بقاع مكة فضلا عما زيد في مسجدها.

الرابع : أنه الكعبة ، وهو أبعدها.

فإن قيل : قد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما : (أن حسنات الحرم كلها الحسنة بمائة ألف) ، فعلى هذا يكون المراد بالمسجد الحرام في الاستثناء الحرم كله؟.

قلنا : نقول بموجب حديث ابن عباس : أن حسنة الحرم مطلقا بمائة ، لكن الصلاة في مسجد الجماعة تزيد على ذلك ، ولذا قال : بمائة صلاة في مسجدي ، ولم يقل : حسنة ، (وصلاة في مسجدي بألف) صلاة ، وكل صلاة بعشر حسنات ، فتكون الصلاة في مسجده صلى الله عليه وسلم بعشرة آلاف حسنة ، وتكون في المسجد الحرام بألف ألف حسنة ، وعلى هذا تكون حسنة الحرم بمائة ألف حسنة ، والمسجد الحرام بألف ألف ، ويلحق بعض الحسنات ببعض ، أو يكون ذلك مختصا بالصلاة لخاصية فيها ، والله أعلم. كذا في الجامع اللطيف نقلا عن المحب الطبري.

[٢٣٧] [المضاعفة في الصلاة] :

وهل تختص المضاعفة بالمكتوبات أو تعم [النوافل]؟ فذهب مشايخنا ـ إلّا الطحاوي ـ إلى أنها تختص بالفرائض ؛ لأن النوافل في البيت أفضل ، وبه قال المالكية ، وبعض الشافعية ومذهبهم التعميم ، قال الحافظ ابن حجر : ويمكن إبقاء حديث (أفضل صلاة المرء) على عمومه ، فتكون النافلة في بيت بالمدينة أو مكة تضاعف على صلاتها في البيت بغيرها . وكذا في المسجدين ، وإن كانت في البيوت أفضل مطلقا.

[٢٣٨] [المضاعفة بين المسجد والحرم] :

وقال الفخر بن ظهيرة : لا يلزم من المضاعفة في المسجد أن يكون أفضل من البيت ؛ إذ فضيلة المسجد المذكور من حيث التضعيف. أهـ.

ثم قيل : إنها مختصة بالرجال دون النساء ؛ لأن صلاتهن في البيت أفضل ، ثم التضعيف المذكور يرجع إلى الثواب لا إلى الإجزاء عما في الذمة من الفوائت إجماعا ، لاكما يوهمه قول النقاش : حسبت الصلاة في المسجد الحرام ، فبلغت صلاة واحدة عمر خمسة وخمسين سنة وستة أشهر وعشرين ليلة.

وحسب الشيخ بدر الدين ابن الصاحب الإرشاري رحمه الله تعالى : ثواب صلاة الجماعة في المسجد الحرام ، ثم قال : فتلخص أن صلاة واحدة في المسجد الحرام جماعة بفضل ثوابها على ثواب من صلّى في بلده فرادى ، حتى بلغ عمر نوح عليه السلام بنحو الضعف.

وهذا كله بالنظر إلى الروايات المشهورة ، وأما على الروايات الأخر فكذلك يبلغ آلاف كرات من السنين على ما جمعه بعضهم.

[٢٣٩][المضاعفة عامة] :

قال في المنسك الكبير : ثم اعلم أن هذا التضعيف لا يختص بالصلاة بل يعم جميع الأعمال ؛ لما صرّح به بعض العلماء الكبار ، وقال الحسن البصري في رسالته : ما أعلم اليوم من بلد على وجه الأرض بلدة يرفع فيها من الحسنات وأنواع البرّ كل واحدة منها بمائة ألف ، ما يرفع بمكة ، ثم ما أعلم من بلدة على وجه الأرض كتب لمن صلى فيها ركعة واحدة بمائة ألف ركعة غير مكة ، ثم ما أعلم من بلدة على وجه الأرض يتصدق فيها بدرهم واحد فيكتب بمائة ألف درهم إلا بمكة انتهى.

فتفطن يا أخي في هذه الفضيلة العظيمة ، وابذل جهدك لنيلها ، فيا لها من نعمة ما أشرفها ، وفضيلة ما أكبرها.

[٢٤٠][هل تتضاعف السيئات بمكة] :

فإن قيل : إن كانت الحسنات كذلك فهل السيئات تتضاعف؟

والصحيح الذي عند جمهور العلماء : عدمها ، لكن هي في الحرم أعظم منها في غيره بلا ريب ، ثم قيل على الأول : مضاعفتها كمضاعفة حسنات غيره ، وردّ بعض العلماء الخلاف الأول إلى اللفظ ، ويظهر أنه بعيد. والله).

[٢٤١] [ما حوى البيت الشريف من أماكن الإجابة] :

ومن فضائل المسجد : ما حواه من البيت الشريف ، وما فيه من أماكن الإجابة ، وقد تقدم فضل ذلك.

ومنها : ما حواه من الأماكن التي فيها صلّى رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم : وهي خلف المقام ، وهو معروف ، أو جهة البيت إلى انتهاء فرش الرخام ؛ لما قيل : إنه كان ملصقا بالبيت على عهد النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم ، وتلقاء الحجر الأسود على حاشية المطاف ، وقرب الركن الشامي مما يلي الباب ، وقيل : مما يلي الحجر ، وتسمية هذا الركن بالشامي قول بعض ، والمشهور تسميته بالعراقي.

وعند باب الكعبة قال صلى‌الله‌عليه‌وسلم : (أمّني جبريل عند باب الكعبة مرتين) ، وهو يحتمل وجاه الباب أو الحفرة بهذا الملتزم ، والأقرب الأول ، كذا قال الفاسي وسيأتي.

والحفرة التي تسمى : معجنة إبراهيم ومقام جبريل ؛ حيث أمّ النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم ، صلى فيه خمس صلوات أوائل أوقاتها ، وهذا هو المشهور عند أهل مكة ، ويكاد أن يعد عندهم متواترا ، على ما قاله في العمدة ، وإليه ذهب المحب الطبري ، ويقال : إنه مصلّى آدم عليه الصلاة والسلام.

وتلقاء الركن الذي يلي الحجر من جهة المغرب ، وقيل : هو خلف المقام ؛ لأنه جاء مصرحا به في رواية ، قال المحب الطبري : والظاهر أن هذا الموضع

تلقاء المقام في فناء الكعبة ، بحيث يكون المقام خلف ظهر المصلي فيه، ثم قال : ويحتمل على بعد أن يكون الموضع الرابع يعني : باب الكعبة.

وورد تفضيل وجه الكعبة على غيره ، قال ابن عمر رضي الله عنه : البيت كله قبلة ، وقبلته وجهه ، فإن فاتك ذلك فعليك بقبلة النبي صلى الله عليه وسلم : تحت الميزاب.

وداخل البيت : وهو قبل الباب المسدود ، بحيث يكون بينه وبين الجدار ثلاثة أذرع أو ذراعان.

وبين الركنين اليمانين ، قيل : هو موضع الرخامة في وسط هذا الجانب المكتوب فيها عمارة المنصورة ، وقيل : في جانب الركن اليماني.

وقال الملّا علي : والأظهر أنه في المستجار ، وقيل : إنه قريب الحفرة وقيل غير ذلك والله أعلم بما هنالك.

فينبغي لمن قصد هذه الآثار أن يعم الأماكن التي وردت بها الأخبار ، رجاء أن يظفر بمصلّى سيّد الأخيار صلى الله عليه الواحد القهار آناء الليل وأطراف النهار.

ونظمها المحب الطبري في أبيات فقال:

مواضع بها الرسول صلّى ... بحول بيت كالعروس تجلّى

خلف المقام وباب كعبة ... والمستجاب ، الحجر ، والمعجنة

وبحذاء الحجر الموقوف ... بأنه الأسود للتشريف

يفصل بينه وبين الحجر ... الطائفون من خيار البشر
وبين حفرة وركن شامي ... وحذو غربي ركنه يا سامي
من صلّى به يسامت ... بابا لعمرة لهذا أثبتوا
وعند قرب ركنه اليماني ... مما يلي الأسود ذا المعاني
والمستجار بين باب سدا ... وبين شامى الركن حزت الرشدا
بين اليماني وركن الحجر ... عن ابن إسحاق أتى في خبر
كذا بوجه قبلت ولم يبن ... تعيينه كما يرومه الفطن
وجوف كعبة بها الرسول ... صلّى وكان الفتح والقبول
فهذه البقاع صلّى فيها ... نبينا فزادها تنويها
بشرى لمن بهذه قد صلّى ... قد مس تربا فعلاه حلا
طوبى لمن بوجهه قد مس ما ... مسته أقدام نبي عظّما
فالحمد لله وصلى الله ... على نبيه ومصطفاه
وآله وصحبه والعلماء ... والتابعين هديه المعظما

[٢٤٢] [آثار مكة] :

ومنها المآثر العظام : وهي أنواع خمسة : مواليد ، ودور ، ومساجد ، وجبال ، ومقابر.

[٢٤٣] [مولد النبي صلى الله عليه وسلم]:

فأما المواليد: فأعظمها مولد النبي صلى الله عليه وسلم وهو المعروف المشهور بسوق الليل، وقد استولى عليه عقيل بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ زمن الهجرة، وإليه وإلى غيره أشار صلى الله عليه وسلم بقوله ـ في حجة الوداع ـ: (هل ترك لنا عقيل من ظل أو منزل؟) واستمر بيده ويد ولده حتى باعه بعضهم من أخي الحجّاج، فأدخله في داره، ولبث كذلك حتى حجت الخيزران ـ أم الخليفتين موسي الهادي وهارون الرشيد ـ وأخرجته وجعلته مسجدا.

وقيل: ولد بالدار التي عند الصفا التي كانت لمحمد بن يوسف أخي الحجاج، ثم جعلته زبيدة مسجدا، وهو غريب.

ويقال: بالردم، وقيل: بعسفان. وهما أغرب، والمراد بالردم: ردم بني جمح لا المعروف بالمدعى: لأنه أحدث في زمن عمر ـ رضي الله عنه ـ ونسب لبني جمح؛ لأنهم قتلوا وردم عليهم فيه، قال ابن ظهيرة: «ولم أقف على تعيين محله»، والحق الذي عليه الجمهور: هو الأول.

[٢٤٤] [مولد السيدة فا ـمة رضي الله عنها]:

ومنها: مولد السيدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها: وهو في زقاق الحجر في دار أمها خديجة التي هي أفضل مواضع مكة بعد المسجد الحرام، على ما قاله المحب الطبري وغيره من الأعلام.

قال الأزرقي : وهذه الدار كان يسكنها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع خديجة ، وفيها ابتنى بها ، ولدت فيها جميع أولادها وتوفيت بها ، ولم يزل النبي صلى الله عليه وسلم ساكنا بها حتى هاجر إلى المدينة ، فاستولى عليها عقيل بن أبي طالب ، ثم اشتراها منه معاوية وهو خليفة فجعلها مسجدا ، وفتح فيه بابا من دار أبيه أبي سفيان التي قال فيها صلى الله عليه وسلم يوم الفتح : (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن) وتسمى هذه الدار جميعها بمولد فاطمة ، وموضع مسقط رأسها معروف ، وقال الفاسي : لا ريب في كون فاطمة ولدت في هذه الدار انتهى.

وغالب هذه الدار الآن على صفة المسجد ، وبها قبة يقال لها : قبة الوحي ، وإلى جنبها موضع يزوره الناس ، يسمى المختبأ زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يختبئ فيه من الحجارة التي يرميه بها المشركون ، ولا أصل لذلك كذا قال ابن ظهيرة كما قاله الأزرقي وغيره.

[٢٤٥] [مولد عليّ رضي الله عنه] :

ومنها مولد سيدنا علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وهو مشهور معروف عند أهل مكة لا اختلاف فيه بأعلى الشعب المنسوب إليه ، وفيه تربى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيه محل كالتنور يقال إنه مسقط رأسه.

ونقل الفخر بن ظهيرة عن سعد الدين الاسفراييني : أن في جدار هذا المحل بالزاوية حجرا ، يقال إنه كان يكلّم النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل ولد في جوف الكعبة. وضعّفه النووي رحمه الله تعالى.

[٢٤٦] [مولد سيدنا حمزة رضي الله عنه] :

ومنها مولد سيدنا حمزة بن عبد المطلب ـ رضي الله عنه ـ بأسفل مكة على طريق الذاهب إلى بركة ماجن ـ قال الفاسي : ولم أر شيئا يدل بصحة ذلك ، بل في صحته نظر ؛ لأن هذا الموضع ليس محلا لبني هاشم.

[٢٤٧] [مولد سيدنا عمر رضي الله عنه] :

ومنها مولد سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ معروف عند أهل مكة بأعلى جبل النوبة ـ قال الفاسي : ولا أعلم في ذلك شيئا يستأنس به ، وذكر أن جده من أمه كان يزوره في جمع من أصحابه غالبا ليلة أربع عشر من ربيع الأول ـ والله أعلم.

ومنها موضع يعرف بدار أبي سعيد ، وبدار الدقوقي ـ بقافين ـ ، يعرف بقرب باب العجلة ، يقال له : مولد جعفر الصادق. كذا قال الفاسي. والله أعلم بحقيقته.

[٢٤٨] [دار السيدة خديجة رضي الله عنها] :

وأما الدور فأشرفها دار خديجة ـ رضي الله عنها ـ وقد تقدمت لشهرتها بمولد فاطمة رضي الله عنها.

[٢٤٩] [دار أبي بكر رضي الله عنه] :

ومنها دار أبي بكر الصديق رضي الله عنه في زقاق الحجر ، يقال : إنه كان له دكان يبيع فيه الخز ، وتسمى دار الهجرة ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر هاجرا منها ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي إليها كل يوم صباحا ومساء ، كذا ذكر الشيخ إدريس ، وأسلم فيها جمع من الصحابة

منهم : علي ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير رضي الله عنهم ، وفي جدارها أثر مرفق النبي صلى الله عليه وسلم ، ولذا يسمى زقاق المرفق كذا في الجامع اللطيف ، ويقابل هذه الدار جدار فيها حجر ، يقال : إنه كان يسلّم على النبي صلى الله عليه وسلم كلما اجتاز. ولعله إن صح هو المعني بقوله صلى الله عليه وسلم : (إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلّم عليّ ليالي بعثت) كذا قال الفاسي ، وفي الشفا : إنه الحجر الأسود ، واستبعده المحب الطبري.

[٢٥٠] [دار الأرقم بن أبي الأرقم] :

ومنها : دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي ، المعروفة بدار الخيزران ؛ لبنائها لها ، وهو محل شريف ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم استتر فيه في مبدأ الإسلام ، وأسلم به جمع من الصحابة السادة الكرام ، منهم : حمزة ، وعمر رضي الله عنهم أجمعين ، وأكمل الله به الأربعين ، وأعزّ به الدين ، وحقّق بإسلامه دعوة سيد المرسلين ، وأظهر الله به الدين ونزل فيه : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ).

[٢٥١] [دار العباس رضي الله عنه] :

ومنها : دار العباس رضي الله عنه ، وهو معروف برباط العباس الذي فيه أحد الميلين الأخضرين.

[٢٥٢] [رباط المغاربة] :

ومنها : رباط الموقف ، ويعرف برباط المغاربة نقل عن الشيخ خليل المالكي : أن الدعاء يستجاب فيه أو عند بابه ، ويروى عن الشيخ مطرف الولي المشهور أنه قال : «ما وضعت يدي في حلقة هذا الباب ، إلا وخطر في نفسي كم ولي لله وضع يده في هذه الحلقة ، وفيها ماء مأثور يغسل به المرضى فيشفون بقدرة الله تعالى».

ومنها : متعبد الجنيد ، المعروف بطرف جبل جزل ، ونقل الفخر بن ظهيرة : أنه متعبد إبراهيم بن أدهم على ما قيل.

ومنها : رباط ربيع اليمني بأجياد ، مشهور يستجاب فيه الدعاء ، يقال إن الشيخ النووي والشيخ اليافعي سكنا فيه ، وعند بابه داخل مقصد الدعاء.

وأما المساجد فكثيرة ، منها ما يعرف ، ومنها ما لا يعرف.

[٢٥٣] [مسجد الراية] :

ومنها : مسجد الراية بأعلى مكة ، المسمى بالمدّعى ، قال ابن ظهيرة : ويعرف بذلك إلى وقتنا ، وبجانبه الآن منارة يقال لها منارة أبي شامة ، يقال : إن النبي صلى اله عليه وسلم صلّى فيه كما نقله الأزرقي.

[٢٥٤] [مسجد المجزرة] :

ومنها : مسجد بقرب المجزرة في المدّعى على يسار الصاعد من مكة ، يقال : إن النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم صلّى فيه المغرب ، كما هو مكتوب في حجرين هناك.

[٢٥٥] [مسجد الغنم] :

ومنها : مسجد الغنم بالمدّعى عند سوقها ، روي أنه صلى‌الله‌عليه‌وسلم بايع الناس عنده يوم الفتح ، كذا قال الشيخ ، والذي ذكره ابن ظهيرة عن الأزرقي من محل مبايعته يوم فتح : هو بين شعب عامر وحرف دار زائفة بمكة. قال : وهو الآن لا يعرف.

[٢٥٦] [مسجد المختبأ] :

ومنها : مسجد قريب من مولد النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم ، يقال له المختبأ ، يزوره الناس الآن. قال الفاسي : «ولم أر من ذكره ، ولا عرفت شيئا من خبره». وذكر العلامة عمر بن فهد : أن هذا المحل معبد عثمان بن عفان ـ رضي‌الله‌عنه ـ وأن النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم كان يختبئ فيه من الكفار. وعزاه إلى الكوكب المنير لنصر الله الكسائي.

[٢٥٧] [مسجد المتكأ] :

ومنها : مسجد بأجياد ـ بفتح الهمزة ـ أرض بمكة أو جبل بها ؛ لكونه موضع خيل تبّع ، والآن محله يسمى : جياد بكسر الجيم ، وهو مناسب لقوله تعالى : (إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِناتُ الْجِيادُ)، ويقال لهذا المسجد المتكأ ،

يقال : إن النبي صلى الله عليه وسلم اتكأ في موضع منه. قال الأزرقي : إن أهل العلم ينكرون ذلك ، وإنما يثبتون أنه صلّى بأجياد الصغير ، ولا يوقف على مصلاه أيضا تحقيقا : بل حدسا بغير أصل.

وبالقرب من باب العمرة موضع يقال له : المتكأ ، يروى أنه صلى الله عليه وسلم صلّى فيه واتكأ ، وهو ملاصق لرباط النساء ، وبطريق التنعيم موضع آخر يقال له المتكأ ، عند العقبة ، عليه علم ومبنى بنورة ، والناس يقفون عنده يلصقون به ظهورهم. كذا ذكر الشيخ إدريس ، والله أعلم بحقيقة ذلك.

أقول : ولعل الذي عند باب العمرة هو الذي قال فيه الشيخ ابن ظهيرة : وأما ما لم يذكر من المساجد ذكره. والله اعلم.

[٢٥٨] [مسجد جبل أبي قبيس] :

فمسجد على جبل أبي قبيس يقال له : مسجد إبراهيم ، وهو إبراهيم القيسي ، كان يسأل عنده لإبراهيم الخليل عليه السلام.

[٢٥٩] [مسجد أبي بكر الصديق رضي الله عنه] :

ومسجد بأسفل مكة ، ينسب لأبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ يقال : إنه من داره التي هاجر منها إلى المدينة ، ويعرف الآن بدار الهجرة ، قال الشيخ أحمد الأسدي : وبها الآن قبة كبيرة فيها تابوت ، يزعم الناس أنه مسقط رأس الصديق ، ولم أر من ذكره ـ على أنه تقدم أن دار الصديق بزقاق الحجر ـ انتهى.

وهذه المساجد بمكة.

[٢٦٠][**مسجد الجن**] :

وأما ما في خارجها فمنها : مسجد الجن ، ويقال له : مسجد البيعة ، ويسمى مسجد الحرس ، وهو معروف مشهور ، وهو موضع اجتماعه صلى الله عليه وسلم ، ومبايعته لهم ، واستماعهم القرآن ، أو موضع ترك ابن مسعود [رضي الله عنه] وخط حوله ، وقال : (لا تخرج منه حتى أرجع). والله أعلم ، ويسمى بمسجد الحرس ؛ لأن صاحب الحرس كان يطوف مكة ليلا وينتظر جماعته يأتون إليه من شعب ابن عامر وثنية المدنيين. قاله الأزرقي.

[٢٦١][**مسجد الشجرة**] :

ومسجد الشجرة : مقابل مسجد الجن قيل : إن النبي صلى الله عليه وسلم كان بمسجد الحرس فدعا شجرة كانت إليه فأقبلت إليه ، فسألها عن شيء ثم أمرها بالرجوع ، فرجعت إلى موضعها ، وهو غير معروف الآن [٢]. قال الشيخ إدريس : ولعله الذي يقال له مسجد الراية ، ويسمى مسجد الحرس.

[٢٦٢][**مسجد المصلّى**] :

ومسجد المصلّى : يصلي فيه العوام المغرب ليلة أربع في شهر الحجة من الرجال والنساء ، ثم ينفرون بعد صلاة المغرب ، ويقولون إن النبي صلى الله عليه وسلم صلّى فيه المغرب ، وهذا الذي يفعلونه ما له أصل في السنة ، بل هو من البدع.

ومعنى قوله : «الذي يقال له مسجد الراية» أي في العرف لا المتقدم ذكره.

[٢٦٣][مسجد ذي ـوى] :

ومسجد بذي طوى ـ مثلثة الطاء ـ يصرف ويمنع : موضع قريب الجوخي معروف ، نزل به صلى الله عليه وسلم حين حجّ ، نزل تحت شجرة ثمّ ، وروى عبد الله بن الزبير رضي الله عنه أنه قال : حج ألفا نبي من بني إسرائيل عقلوا رواحلهم بذي طوى واغتسلوا منه. وأفاد الأزرقي : أن زبيدة بنته ، وعدّه بن ظهيرة من الغير المعروفة ، وهو بعيد جدا.

[٢٦٤][مسجد الإجابة] :

ومسجد الإجابة في شعب بقرب ثنية إذخر ، كذا ذكره الفاسي ، وهو مشهور بذلك إلى وقتنا هذا ، يقال : إنه صلى الله عليه وسلم صلّى فيه. والله أعلم. كذا ذكره ابن ظهيرة.

وأما مآثر منى فتقدمت.

[٢٦٥][مسجد إبراهيم عليه السلام] :

ومسجد عرفة المذكور ، ويسمى بمسجد إبراهيم عليه السلام ، وجزم به الرافعي والنووي.

وقال ابن جماعة : ليس لذلك أصل ، وتبعه الأسنوي. قال الفاسي : وفيه نظر ؛ لمخالفتها ما يقتضي كلام الأزرقي ، وهو عمدة في هذا الشأن ، وهذا المسجد عده في المساجد التي يستحب زيارتها ، قال : وهو أولى بذلك ؛ لأن

العلة في ذلك إنما هي التبرك ، وهذا المسجد من البقاع العظيمة التي لا شك فيها ، وكم صلّى فيه من حجّاج الصحابة والتابعين والعلماء والسادات ؛ لأن كون هذا المحل مصلّى الإمام مما يأثره الخلف عن السلف.

ومسجد عن يمين الواقف بعرفات يقال له مسجد إبراهيم ، وهو غير الذي تقدم ، وهو المذكور في المساجد المستحبة الزيارة ، ولم يعرف إبراهيم الذي ينسب إليه.

[٢٦٦] [**مسجد عائشة رضي الله عنها**] :

ومسجد عائشة ـ رضي الله عنها ـ بالتنعيم : وهو الذي بقرب الحرم ، وقيل : الذي على الأكمة ، وقيل : بينه وبين أنصاب الحرم غلوة سهم ، قال ابن ظهيرة : والخلاف قديم ، ورجح الطبري بأنه الذي بقرب البئر ، وهو الموضع الذي يقتضي كلام الخزاعي وغيره. وفي القاموس : والتنعيم موضع على ثلاثة أميال أو أربعة من مكة ، أقرب أطراف الحل إلى البيت ، سمي به ؛ لأن على يمينه جبل نعيم ، وعلى يساره جبل ناعم ، والوادي اسمه نعمان انتهى.

فائدة : نعمان واد آخر فوق وادي عرفة بقليل ، معروف مشهور ، وله فضل مسطور ، قال البغوي وغيره من المفسرين : إنه واد مقدس وفيه أخذ الله العهد ، كذا ذكر ابن ظهيرة وهذا الموضع أفضل مواقيت العمرة.

[٢٦٧] [مسجد الجعرانة]:

ومسجد الجعرانة: معروف، وهو الذي أحرم منه صلى الله عليه وسلم بعمرة في مرجعه من الطائف بعد فتح مكة، وموضع إحرامه: وراء الوادي عند الحجارة المنصوبة بالعدوة القصوى. ذكره الأزرقي عن مجاهد، واختلف في وقته: والراجح أنه ليلة الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة عام الفتح.

والجعرانة - بجيم مكسورة وعين ساكنة وراء مفتوحة، وبكسرهما وتشديد الراء، وقيل بكسر الجيم وفتح الراء المشددة، وقال الشافعي: التشديد خطأ - موضع بين مكة والطائف سمي بريطة بنت سعد، وكانت تلقب بالجعرانة: وهي امرأة أسد بن عبد العزى، وعن ابن عباس - رضي الله عنه - أنها هي التي نزل فيها قوله ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾.

[٢٦٨] [فضائل الجعرانة]:

ومن فضائل هذا الموضوع: ما أخرجه الجندي في فضائل مكة بسنده إلى يوسف بن ماهك أنه قال اعتمر من الجعرانة ثلاثمائة نبي، ومنها: ما ذكره الفاكهي أن في جهة الجعرانة ماء شديد العذوبة، يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم فحص موضع الماء بيده الكريمة، وقيل: إنه غرز فيه رمحه الميمون، فنبع الماء من ذلك المحل، فشرب منه وسقى الناس.

[٢٦٩] [مسجد الفتح] :

ومسجد بوادي مرّ الظهران قرب الجموم ، يقال له : مسجد الفتح ، مشهور بهذا الاسم إلى هذا الزمان يقال إنه صلى الله عليه وسلم صلّى فيه [٣]. والله أعلم.

[٢٧٠] [جبال مكة] :

وأما الجبال المأثورة :

[٢٧١] [جبل أبي قبيس] :

فمنها : جبل أبي قبيس أحد أخشبي مكة ، سمي برجل من مذحج حدّاد ؛ لأنه أول من بنى فيه ، كذا في القاموس. وقال ابن ظهيرة في تسميته بأبي قبيس : أرجحها أنه سمي باسم رجل من إياد ، يقال له : أبو قبيس ، بنى فيه [٣] ، وكان يسمى الأمين في الجاهلية ؛ لأن الحجر استودع فيه عام الطوفان ، فلما بنى الخليل الكعبة ناداه الجبل : الركن مني بمكان كذا وكذا ، فجاء به جبريل فوضعه ، وهو أصل الجبال وأولها ، كما روي عن ابن عباس وغيره. وذكر الفاكهي : أن الدعاء يستجاب فيه.

وعن وهب بن منبه : أن قبر آدم في غار فيه يقال غار الكنز ، وأن نوحا لما جاء الطوفان استخرجه من الغار وجعله في تابوت وحمله في السفينة ، فلما غاض الماء أعاده ، وهو لا يعرف الآن ، وقيل بمسجد الخيف وتقدم ، وقيل ببيت المقدس ، وقيل بالهند ، وصححه الحافظ ابن كثير. وعن الذهبي : أن قبر حواء وشيث فيه أيضا. والله أعلم.

وعن بعض العلماء : أنه أفضل جبال مكة حتى من حراء لقربه من الكعبة الشريفة واستشكله الفاسي [من تفضيله على حراء]، لكونه صلى الله عليه وسلم كان يكثر إتيانه للعبادة ، ويقيم به لأجلها شهرا في كل عام ، وفيه أكرم بالرسالة ، ولم يتفق له صلى الله عليه وسلم مثل ذلك في غيره ، وذلك مما يقتضي امتيازه بالفضل.

وما فضل دار خديجة على غيرها من دور الصحابة إلا بطول سكناه صلى الله عليه وسلم بها ، ونزول الوحي عليه فيها لا لقربه من الكعبة ؛ إذ دار العباس ودار الأرقم أقرب منها.

وفي عجائب المخلوقات ـ من خواص جبل أبي قبيس ـ : أن من أكل فيه رأسا مشويا يأمن من وجع الرأس ، وكثير من الناس يفعله. وقال الملّا علي : وأما ما اشتهر من أكل رأس الغنم يوم السبت ، فلا أصل له. والله أعلم بحقيقته!.

[٢٧٢] [جبل الخندمة] :

جبل الخندمة : وهو معروف خلف جبل أبي قبيس ، وروى عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال : ما أمطرت مكة قط إلا كان للخندمة عزة ؛ وذلك أن فيه قبر سبعين نبيا ، أخرجه الفاكهي ، قال العلامة بن ظهيرة بصحته.

وفيه يقول القائل في فتح مكة :

إنــك لــو شــهدت يــوم الخندمــة إذ مــرّ صــفوان وفــرّ عكرمــة

[٢٧٣] [جبل حراء] :

وحراء : ككتاب ممدود إن ذكّر صرف ، وإن أنـث منـع ، ويسـمى جبـل النور ؛ وكان ذلك لكثرة إقامة النبي صلى الله عليه وسلم به ، وتعبد به فيه ، ولما خصه الله به من الإكرام بالرسالة ونزول الوحي عليه بالغار الذي بأعلاه ، كما في صحيح البخاري حين فجأه الحق في غار حراء. كذا في الجامع اللطيف.

وفي المواهب : والصحيح أن أول ما نزل عليـه صـلى الله عليـه وسـلم مـن القرآن (اقرأ) كما صح ذلك عن عائشـة ، وروي عـن أبي موسـى الأشـعري ، وعبيد بن عمير ، قال النووي : وهو الصواب الذي عليه الجماهير من السـلف والخلف.

وأما ما روي عن جابر وغيره : أن أول ما نزلت (يـا أيهـا المـدثر) ، فقـال النووي : ضعيف بل باطل ، وإنـما نزلـت بعـد فـترة الـوحي ، وأمـا حـديث البيهقي أنه الفاتحة كقول بعض المفسرين ، فقال البيهقي : هـذا منقطـع ، فـإن كان محفوظا فيحتمل أن يكون خبرا عن نزولها بعد ما نزلت (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ) و (يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) ، وقال النووي بعد ذكر هـذا القـول : بطلانـه أظهـر مـن أن يذكر. انتهى. وهو مشهور معروف يأثره السلف عن الخلف.

وذكر الأزرقي والفاكهي : أن النبي صـلى الله عليـه وسـلم اختبـأ فيـه مـن المشركين.

قال ابن ظهيرة : والمعروف أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يختبئ من المشركين إلا في غار ثور ، لكن يتأيد ما ذكر بما قاله القاضي عياض ، والسهيلي في روضه : أن قريشا حين طلبوا النبي صلى الله عليه وسلم كان على ظهر ثبير ، فقال له : اهبط عني يا رسول الله ، فإني أخاف أن تقتل وأنت على ظهري فيعذبني الله تعالى ، فناداه حراء : إليّ يا رسول الله! .

وجمع القاضي تقي الدين فقال : إن صحّ اختفاؤه صلى الله عليه وسلم [بحراء فهو] غير اختفائه بثور والله أعلم ، فيكون اختفاؤه بحراء أولا ، وفي ثور حين الهجرة. انتهى.

وفي تذكرة القرطبي عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكا ، صار بعظمته ستة أجبل ، فوقعت ثلاثة بمكة : ثور ، وثبير ، وحراء ، وبالمدينة أحد ، وورقان ، ورضوى). والحاصل : أن فضله عظيم وشرفه جسيم ، وهو أحد الجبال التي بني منها البيت الشريف ، ومحل ظهور السر المنيف ، وقد أفرده ابن فهد الهاشمي بالتصنيف ، وما أحسن ما قال العلامة المرجاني فيه شعراً:

تأمل حراء في جمال محياه	فكم من أناس في حلا حسنه تاهو
فما حوى من جاء لعلياه زائرا	يفرج عنه الهم في حين مرقاه
به خلوة الهادي الشفيع محمد	وفيه له غار كان يرقاه
وقبلته للقدس كانت بغاره	وفيه أتاه الوحي في حال مبداه

وفيه تجلى الروح بالموقف الذي به الله في وقت البداءة سواه
وتحت تخوم الأرض في السبع أصله ومن بعد هذا اهتز بالسفل أعلاه
ولما تجلى الله قدس ذكره لطور ، تشظى فهو إحدى شظاياه
ومنها ثبير ثم ثور بمكة كذا قد أتى في فقل تاريخ مبداه
وفي طيبة أيضا ثلاث فعدها فعيرا وورقانا وأحدا رويناه
ويقبل في ساعة الظهر من دعا به وينادى من دعانا أجبناه
وفي إحد الأقوال في عقبة حراء أتى ثمّ قابيل لهابيل غشاه
ومما حوى سرا حوته صخوره من التبر إكسيرا يقام بسكناه
سمعت به تسبيحها غير مرة وأسمعته غيري فقالوا سمعناه
وفيه مركز النور الالهي مثبتا فلله ما أحلا مقاما بأعلاه

وقول الناظم : (فعيرا) ، صوابه : فرضوى ؛ كما في الحديث السابق ؛ ولأن (عيرا) مبغوض كما ورد ، والحكمة في كونه صلى الله عليه وسلم لازم فيه التعبد دون غيره ما فيه من السر الإلهي الذي أودعه فيه ؛ لأن لله تعالى في كل شيء أسرارا ربانية ، ولطائف رحمانية يختص بها عن غيره ، أو ما قيل من أنه مختلى أجداده الكرام عليه وعليهم الصلاة والسلام ، أو غير ذلك والله أعلم بما هنالك.

[٢٧٤] [جبل ثور]:

وجبل ثور: وهو معروف بأسفل مكة، بينه وبينها ميلان، وقيل: ثلاثة، وارتفاعه نحو ميل، ويقال له: ثور أطحل، واسم الجبل أطحل نزله ثور بن عبد مناف، فنسب إليه، كذا في القاموس.

وقال الشيخ إدريس: (ثور) ـ بفتح المثلثة وسكون الواو ـ وهو ابن حجفل الهذلي، وقيل هو ثور بن آدم طابخة بن إلياس بن مضر ـ، أبو القبيلة المشهورة: رهط.

ومنهم سفيان الثوري، وهذا الجبل فيه الغار المذكور في قوله تعالى (ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا)، الذي اختفى فيه النبي صلى الله عليه وسلم حين هاجر، وروى رزين ابن أبي بكر لما رأى القافة، اشتد حزنه على النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: إن قتلت فإنما أنا رجل واحد، وإن قتلت أنت هلكت الأمة. فعندها قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تحزن إن الله معنا، يعني: في المعونة، وفي النصر.

وفي الصحيح عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ، قال أبو بكر: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه!! رآنا؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما ظنك باثنين الله ثالثهما)؟.

وروي أن أبا بكر رضي الله عنه قال: نظرت إلى قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار وقد تفطرتا دما، فاستبكيت وعلمت أنه عليه

الصلاة والسلام لم يكن تعود الحفا والحفوة ، وأنه رأى جحرا فيه فألقمه عقبه ؛ لئلا يخرج ما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل الأفاعي يضربنه ويلسعنه ، فجعلت دموعه تنحدر.

وفي رواية : فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه في حجر أبي بكر فنام ، فلدغ أبو بكر في رجله من الحجر ولم يتحرك ، فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذهب ما يجده.

وذكر قاسم بن ثابت في الدلائل : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما دخل الغار وأبو بكر معه ، أنبت الله على بابه الراه فحجبت عن الغار أعين الكفار.

والراه : أم غيلان ، وقيل : شجرة مثل قامة الإنسان لها خيطان وزهر به يحشى المخاد.

وفي مسند البزار: (أن الله تعالى أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار ، وأرسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على وجه الغار ، وأن ذلك مما صد المشركين عنه ، وأن حمام الحرم من نسل تلك الحمامتين ، ولما فقدته قريش طلبوه بمكة كلها ، وبعثوا القافة في كل وجه ، فوجد الذي ذهب قبل ثور ، فلم يزل يتبعه حتى انتهى إلى ثور ، وشق خروجه عليهم ، وجزعوا لذلك وجعلوا مائة ناقة لمن يرده ، فتوجه فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وسيوفهم إلى ثور ، فلما أقبلوا على الغار جعل بعضهم ينظر فيه ، فلم ير إلا حمامتين وحشيتين بفمه ،

فرجع إلى أصحابه وقالوا : مالك؟ قال : رأيت حمامتين وحشيتين ، فعرفت أنه ليس فيه أحد. وقال آخر : ادخلوا الغار. فقال : وما ألاكم إلى الغار إن فيه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد).

وروي أن الحمامتين باضتا في أسفل النقب ، ونسج العنكبوت ، فقالوا : لو دخلا لتكسر البيض ، وتفسخ العنكبوت.

وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال : (اللهم أعم أبصارهم) ، فعميت عن دخوله ، وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حول الغار ، والحاصل : أن كل هذه الآيات الكبرى والأسرار العظمى وقعت عنده ، ولله ما أحسن قول الشريف البوصيري :

وا غيرتا بين أضحى الغار وهو به	كمثل قلبي معمود ومأهول
كأنما المصطفى فيه وصاحبه الـ	ـصديق ثان قد آواهما غيل
وجلل الغار نسج العنكبوت على	وهن فيا حبذا نسج وتحليل
عناية ضل المشركون بها	وما مكايدهم إلا الأضاليل
إذ ينظرون وهم لا يبصرونهما	كأن أبصارهم من زيغها حول

وكان مكثه صلى الله عليه وسلم فيه ثلاثا ، كما في صحيح البخاري ، وهو المشهور ، وقيل : بضعة عشر يوما.

[٢٧٥] [فضائل ثور]:

ومن فضائل ثور: ما يروى أنه كلم النبي صلى الله عليه وسلم، وقال له: إليّ يا رسول الله فإني قد آويت قبلك سبعين نبيا، وما قال المرجاني في بهجة النفوس: ذكر لي أن رجلا كان معه مال وبنون، وأنه أصيب بذلك، فلم يحزن ولم يجزع على مصائبه بقوة صبره وتحمله، قال: فسألته عن قوة صبره وحسن تحمله؟ قال: إن من دخل غار ثور الذي آوى النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبا بكر رضي الله عنه، وسأل الله تعالى أن يذهب عنه الحزن. لم يحزن على شيء، وقد فعلت ذلك فما وجدت قط حزنا، قال المرجاني: هذه الخاصة من تأثير قوله تعالى ﴿ثانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُما فِي الْغارِ إِذْ يَقُولُ لِصاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنا﴾.

وما نقل عن البكري ـ رحمه الله ـ أنه قال في جبل ثور: من كل نبات الحجاز، وفيه شجرة من حمل منها شيئا لم تلدغه هامة.

ونقل الفاسي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أنّ قتل قابيل أخاه هابيل كان في ثور.

وفضل هذا الجبل عظيم، ولو لم يكن من ذلك إلا ذكر غاره في القرآن لكفى؛ ولأجل ذلك فضله على حراء [جماعة]، منهم الفيروزآبادي، ولابن فهد فيه تأليف حسن سماه: «النور في فضائل جبل ثور» والغار الذي فيه بابان واسع وضيق، وكثير من الناس يدخله، أي الضيق؛ لما يقال: إن من لم

يدخل منه وتعوق فليس لأبيه : باطل لا أصل له ، وقد وسع في عـام ثمانمائـة ؛ لأن بعض الناس أراد الدخول فانحبس ، فنحت منه وتخلص. كذا في الجـامع اللطيف.

[٢٧٦] [**جبل ثبير**] :

وجبل ثبير وتقدم الكلام عليه في الكلام على منى. والله أعلم.

فهذه المآثر الجلية يستحب زيارتها والتردد إليهـا للتـبرك بآثـار المصـطفى صلى الله عليه وسلم ، وللانتشـاق مـن فضـل ذوي الفضـل والنـور الوفـاء ، والتعفر بتراب نعل سيد ذوي الاصطفاء بسوائد القلوب ، كشأن أهل الوفاء.

[٢٧٧] [**بعض أحوال العارفين**] :

يحكى أن الإمام السبكي ـ رحمه الله ـ لما دخل مدرسة النووي وقـد أعطـي تدريسه ، صار يعفر جلده بالأرض حتى وصل إلى محله وهو ينشد :

وفي دار الحـديث لطيـف معنـى ... إلى بسـط لهـا أصـبو وآوي
لعـلي أن أنـال بحـرّ وجهـي ... مكانـا مسـه قـدم النـواوي

وإذا كان هذا في حق بعض الأولياء من أمته الذين قاموا بخدمته ، فكيف به وبأثره صلى الله عليه وسلم وشرّف وكرم ومجّد وعظّم ، ومـا أحسـن قـول الشيخ إدريس رحمه الله تعالى :

إذا حلـت ركابـك سـوح قـوم ... وأنـت مقصـر عـاصي الجليـل
فـأيقن أنـك النـاجي وعفـر ... بسـوح حلـه قـدم الرسـول

وقال أيضا :

إذا أفنيت عمرك في معاص　　فتب واقلع من الذنب المسيء
تفوز مع الأكابر ثم عفر　　بسوح مسّه نعل النبي

ويقول الفقير رحمه‌الله تعالى :

وفي أثر الرسول لنا شفاء　　لقلب ذاب من حر السقام
وروح دائما ولطيف معنى　　تطير إليه أرواح الغرام
فتعفير القلوب لديه فضل　　من الرحمن فاشكر بالتزام
وعفر ديمة فيه خدودا　　لتحظى بالسعادة والمرام
وأكثر دائما فيه صلاة　　على المختار من بين الأنام

ولله ما أنسب بهذا المقام قول أبي اليمن بن عساكر في النعل الشريف وأثره ، رضي‌الله‌عنه وأرضاه:

يا منشدا في رسم ربع خال　　ومناشدا للدوارس الأطلال
دع ندب آثار وذكر مآثر　　لأحبة بانوا وعصر خال
والثم ثرى الأثر الكريم فحبذا　　إن فزدت عنه بلثم ذا التمثال
أثر له بقلوبنا أثر لها　　شغل الخلي بحب ذات الخال
قبل لك الإقبال نعلي أخمص　　حل الهلال بها محل قبال
الصق بها قلبا يقلبه الهوى　　وجلا على الأوصاب والأوجال

صافح بها خدا وعفّر وجنة ... في تربها وجدا وفرط ثقال

وسبيل حرّ جوى ثوى بجوانح ... في الحب ما جنحت إلى الإبدال

يا شبه نعل المصطفى روحي الفدا ... لمحلك الأسما الشريف العال

هملت لمرآك العيون وقدنا ... مرمى العيون بغير ما إرسال

وتذكرت عهد العقيق فناثرت ... شوقا عقيق المدمع الهطال

وصبت فواصلت الحنين إلى الذي ... ما زال بالي منه في بلبال

أذكرتني قدما لها قدم العلا ... والجود والمعروف والأفضال

أذكرتني من لم يزل ذكري له ... يعتاد في الأبكار والآصال

ولها المفاخر والمآثر في الدنا ... والدين في الأقوال والأفعال

لو أن خدي يحتذى نعلا لها ... لبلغت من نيل المنى آمالي

أو أن أجفاني لوطىء نعالها ... أرض سمت عزا بهم ندى الإذلال

فتأمل يا أخي. حال أكابر السادات، واقتباس أهل العرفان والولايات، وانتشاق أهل المواهب والعنايات، فطوبى لهم منحوا من الكرامات وبما أعطوا من صفو المشارب وأعلى المرامات.

[٢٧٨] [مقبرة المعلا]:

وأما المقابر فأعظمها وأشرفها المعلا؛ لما حوته من سادات الصحابة والتابعين وكبار العلماء والصالحين رضوان الله عليهم أجمعين، وهو ـ بفتح اللام ـ ضد المسفلة، واشتهر بين العوام ـ بضم الميم وتشديد اللام المفتوحة ـ،

وله وجه في العربية كذا قال الملا علي ، وقال أيضا : وهو أفضل مقابر المسلمين بعد البقيع ، وقد ورد في فضلها أحاديث كثيرة ، فمن ذلك ما في المدارك : عنه صلى الله عليه وسلم : (الحجون والبقيع يؤخذ بأطرافهما وينثران في الجنة). وهما مقبرتا مكة والمدينة.

[٢٧٩] [فضل المعلا] :

وعنه صلى الله عليه وسلم : (أنه سأل الله تعالى عما لأهل البقيع الغرقد؟ فقال : لهم الجنة ، فقال يا رب ما لأهل المعلا؟ قال : يا محمد تسألني عن جوارك ولا تسألني عن جواري).

وعن ابن مسعود رضي الله عنهما قال : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على الثنية ثنية المقبرة وليس بها يومئذ مقبرة ، فقال : (يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم سبعين ألفا ، يدخلون الجنة بغير حساب ، يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفا ، وجوههم كالقمر في ليلة البدر ، فقال أبو بكر : من هم يا رسول الله؟ قال : من الغرباء) ، وهو يحتمل حمله على الحقيقة أو على من تحقق بقوله صلى الله عليه وسلم : (كن في الدنيا كأنك غريب) ، وهم صالحوها ، وهم غير محصورين ؛ لأنها معدن الأولياء وبرزخ الأصفياء. ويقال عن أهل مكة : إن هذه البقعة هي الشعبة التي فيها الشيخ عبد الوهاب الكبير المشهور ، ويسمونها شعبة النور وإنهم يبعثون متوّجين. وقيل : هي التي فيها السيدة خديجة ، والفضيل وغيرهما من الأكابر. والله أعلم بصحة ذلك.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه صلى الله عليه وسلم قال لمقبرة مكة: (نعم المقبرة هذه) وروى الفاكهي عن الزهري مرسلا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من قبر بمكة جاء آمنا يوم القيامة، ومن قبر بالمدينة كنت عليه شهيدا وله شافعا).

وروي أيضا عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، ثم تنشق عن أبي بكر، وعمر، ثم تنشق عن الحرمين، ثم أبعث بينهما هكذا، وجعل أصابعه السبابة والوسطى).

[٢٨٠] [حال أهل المعلا]:

وروى ابن أبي السمعاني في تاريخه عن بعض الأخيار: أنه رأى في المنام كأن إنسانا مدفونا بالمعلا، استخرج ومروا به إلى موضع آخر، قال: فسألت عن حاله؟ فقالوا: هذه المقبرة منزهة عن أهل البدع لا تقبل أرضها مبتدعا.

وقال بعض الصالحين: كشف لي عن أهل المعلاة، فقلت لهم: أتجدون نفعا بما يهدى إليكم من قراءة ونحوها؟ فقالوا: لسنا محتاجين إلى ذلك، فقلت لهم: ما منكم أحد واقف الحال؟ فقالوا: [وهل]، يقف حال أحد في هذا المكان!.

والحاصل أنه محل شريف، وقد قال بعض العلماء: إن الدعاء يستجاب فيه في أماكن، فمنها: عند تربة السيدة خديجة رضي الله عنها، وليس قبرها

معينا بيقين ، بل ولا يعرف قبر صحابي ولا صحابية إلا أن بعض الصالحين رأى في المنام : أن قبرها بقرب قبر الفضيل بن عياض وبنى عليه قبة هنالك معروفة الآن ، ولا ينبغي تعيينه على الأمر المجهول ، ولا شك أنها ماتت بمكة.

[٢٨١] [القبر المنسوب لابن عمر رضي الله عنهما] :

والقبر المنسوب لابن عمر غير صحيح ، ولا يعرف قبره بعينه ، مع الاتفاق أنه مات بمكة ، إلا أن بعض الصالحين أشار إلى أنه بالجبل المقابل للمعلاة ، على يمين الخارج من مكة المشرفة ، والصحيح أنه ليس به.

وذكر الأزرقي : أن قبره بالمقبرة العليا بالخرمانية ـ بين المعابدة وثنية ذاخر ـ عند قبور آل عبد الله بن خالد بن أسد ؛ لأنه مات عندهم ، وكان صديقا له ، فلما حضرته الوفاة أوصى بأن لا يصلي عليه الحجّاج ، فلما قضى عليه ، صلّى عليه عبد الله بن خالد ـ ودفنه عند باب داره ليلا ؛ وفيه رد على القول الثاني ، وقيل : بوادي سرف ، وقيل غير ذلك.

[٢٨٢] [قبر عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما] :

وأما قبر سيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ، فلا يصح كونه في موضعه المعروف عند قبور السادة الصوفية ، ولعله كان موضع صلبه ، كذا قال الملّا علي.

[٢٨٣] [قبر سفيان بن عيينة] :

ومنها : قبر سفيان بن عيينة ، قال الشيخ إدريس : ومما اتفق لي أني كنت يوما بعد العصر عند شجرة أراك قرب الحجون عند قبور بيت المرسي ، وكانوا وزراء مكة ، وأرى بعض انشراح ونور ، فسألت الحفار هل أحد مدفون في هذه التربة من الصالحين؟ قال نعم : أصل هذه التربة كانت تعرف بقبر سفيان ابن عيينة.

[٢٨٤] [أسماء بعض من دفنوا بالمعلا] :

ومنها : الحوطة التي قرب السيدة خديجة ، المعروفة بحوطة : الفضيل بن عياض ، فيها قبره وقبور كثير من أكابر الأولياء ـ كالشيخ الإمام أبي القاسم القشيري صاحب الرسالة ، والشيخ اليافعي ، وولده عبد الرحمن ـ شيخ سيدي عمر العرابي ـ والشيخ تقي الدين السبكي ـ والشيخ الكبير السبكي ، ومشايخ بني الطواشي ، وغيرهم من الأكابر.

ومنها : عند قبر الشيخ المناوي قرب الحوطة المذكورة ، يقصده أهل مكة ليلة أربع في شهر ذي الحجة.

ونقل عن الشيخ المالكي : أن الدعاء يستجاب عند ثلاثة أماكن : عند قبور سماسرة الخير ، وعند قبر الولي ، وعند قبر إمام الحرمين عبد المحسن بن أبي عبد الحميد ، وقبور سماسرة الخير عند الشيخ العرابي وبين البئر التي يغسلون منها الموتى وإليها أقرب ، وكانت ثمّ قبة ولا أثر لها الآن.

وأما قبر الشولي وإمام الحرمين فمعروفان.

ومنها : بين ضريح الشيخ العرابي والشيخ الشولي وعند الشيخ الكرماني وقبور السادة بني زكريا ، ومنها عند قبر الشيخ عبد الله بن كثير أحد القراء السبعة في طريق الناس حذاء قبر الشيخ ابن حجر المكي.

ومنها : عند قرب الدلاصي بالقرب من الجبل.

قال المرجاني في بهجة النفوس يقال : إن الدعاء عند قبره مستجاب ، والظاهر أن هذا الجبل قرب تربة بني الشيخ بن عراق ، وقرب السادة : أولاد السيد عمر المصري ، ومنها حوطة السادة آل علوي ، ومنها قبور الأشراف سلاطين مكة القتاديين.

ومنها : عند قبر الشيخ النسفي عن يمين ، وهو معروف مشهور في طرف المعلا ، يقال إنه : يقرأ له ما تيسر ثم يستقبل القبلة ، فيكون ابن عباس عن اليسار والنسفي عن اليمين ، ثم يدعو ، فهذا ما ذكر في المعلاة من أماكن الإجابة ، فينبغي الحرص على الدعاء فيها رجاء القبول.

واعلم أن أهل مكة كانوا يدفنون موتاهم في جنبتي الوادي يمنة وشامة ، ثم حول الناس جميعا قبورهم في الشعب الأيسر ، كذا قال الأزرقي ، والمراد باليمن هو شعب أبي دب المعروف بشعب العفاريت ، وفيه كان يدفن في الجاهلية وصدر الإسلام.

[٢٨٥] [قبر أم النبي صلى الله عليه وسلم] :

ويقال : إن قبر آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم فيه ، وأنه جاء إليها وزارها ، وهو لا ينافي أنه بالحجون ؛ لأن العلماء اختلفوا فيه : فقيل : هو الجبل المحاذي لمسجد الحرس على يمينك وأنت مصعد ، وعليه الأزرقي والنووي والخزاعي والفاكهي والفاسي ، وقيل : هو الجبل الذي فيه الثنية التي يدخل منها الحجاج الهابطة على المقبرة ، وعرّفها الأزرقي ثنية المدنيين ، وهو المشهور عند أهل مكة ، وفي بعض كلام المحب الطبري ما يوافقه.

وقيل : قبرها في غير هذه الشعبة من المعلاة ، ـ وقيل بالأبواء، وهو المشهور.

والمراد بالجانب الشامي شعب الصفيّ ـ بالتحتية المشددة ـ المسمّى قديما بصفي الشباب ، وهو عند أذاخر والخرمانية : وهي المقبرة العليا التي كان يدفن فيها في الجاهلية وصدر الإسلام ، أيضا فيها قبر عبد الله بن عمر كما تقدم.

والآن كلا المقبرتين ذهبتا ، فينبغي التيقظ لزيارتهما لما فيهما من الأخيار.

[٢٨٦] [مقبرة المهاجرين] :

ومنها مقبرة المهاجرين بالحصحاص وهي كما يقتضيه كلام الأزرقي ما بين فخ والجبل المسمى بالمقلع وبالبكائية ، لبكائه على النبي صلى الله عليه وسلم حين هاجر على ما قيل ، وهو مشهور بذلك إلى اليوم.

قال ابن ظهيرة : فتكون المقبرة في المحل المعروف بالمختلع ، ثم قال : وسبب تسميتها بمقبرة المهاجرين أن جندع بجيم ونون ـ ابن أبي ضمرة ـ بمعجمة ـ بن أبي العاص اشتكى وهو بمكة فخاف على نفسه ، فخرج يريد الهجرة إلى المدينة المنورة ، فأدركه الموت وهو بهذا المحل ، فدفن فيه ، فأنزل الله تعالى : (وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ)، فسميت مقبرة المهاجرين ، أخرجه الأزرقي.

وقد وقع مثل ذلك لغير جندع أيضا ، فدفن هنالك.

ودفن بهذا الموضع أيضا جماعة من العلويين ، قتلوا فيه في حرب وقعت بينهم وبين موسى الهادي في عام تسع وتسعين ومائة ، وفيه أيضا جماعة من الأنصار ، ويسمى هذا المحل بإضاءة بني غفار ، وهي التي في قوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم : (أتاني جبريل وأنا بأضاءة بني غفار ، فقال : يا محمد إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف ، فقلت : أسأل الله المعافاة ، فقال : إنه يأمرك أن تقرأه على حرفين ، فقلت : أسأل الله المعافاة ، فقال : إنه يأمرك أن تقرأه على ثلاثة أحرف ، فقلت : أسأل الله المعافاة ، قال : فإنه يأمرك أن تقرأه على سبعة أحرف كلها شاف كاف) ، واختلف ما المراد بسبعة أحرف؟ فقيل : سبع لغات ، وقيل غير ذلك.

وفي القاموس : وذو الحصحاص : جبل مشرف على طوى ، وفيه أيضا في مادة : [الفخ] أن الفخ موضع بمكة ، ودفن فيه ابن عمر رضي‌الله‌عنهما.

[٢٨٧] [مقبرة الشهداء] :

وقال بعض الأخيار : مما يستجاب فيه الدعاء عند قبور الشهداء أصل لسفح بطريق التنعيم. أقول : وهي مشهورة عند أهل مكة آخر الزاهر ، وليس لي علم هل هو كذلك أو هي المقبرة المذكورة؟

[٢٨٨] [مقبرة الشبيكة] :

ومنها مقبرة الشبيكة: وهي مقبرة عظيمة لما حوته من أهل الخير والغرباء ، لا سيما الطرحاء ، فإنهم كانوا يدفنون غالبا فيها ، وفيها من السادة قبور آل باعلوي ، منهم : السيد الجليل العارف بالله تعالى عبد الله بافقيه العيدروس ، وتربة بني المساوى ، وتربة الشيخ الكبير ياسين بن عبد الكبير الحضرمي الأنصاري ، وقبر الشيخ الغماري ، وهو مشهور بتيسير قضاء الدين ، فإن أهل مكة يكتبون ديونهم في شيء من الطين ويرمونه على قبره في عشر ذي الحجة ، وبعضهم في أول أربعاء من ذي القعدة.

وبقرب منها قبر السيد الشريف الولي المجذوب عبد الرحمن المغربي الإدريسي المعروف بالمحبوب.

وقريب منه ضريح السيد الجليل المستتر بدنياه للإخلاص في معاملة مولاه ، صاحب الكشف الكثير على ما أخبر الجم الغفير السيد جعفر بن ميره الأزبكي.

وفي أقصى الشبيكة قبر الشيخ الولي محمود بن إبراهيم بن أدهم ، وحوله قبور بعض أخيار أغراب وأعراب.

[٢٨٩] [شعب بني عامر] :

ومن الأماكن المأثورة المشهورة : شعب بني عامر المعروف ، واشتهر بدون لفظ ابن ، يقال إن الأولياء تجتمع فيه ، ويشير إليه كلام سيدي العارف بالله تعالى السيد باعلوي الحداد رحمه‌الله تعالى في رؤيته حيث قال :

بعامرها للصادقين عمارة القلوب　　　بفياض من الفضل غامر

وفيه قبر سيدي الشريف الولي والد سيدي أحمد البدوي ، وبعض أولاده.

وفيه أيضا قبر سيدي الشريف صاحب الكرامات [1] حيا وميتا السيد نعمة الله عليه.

[٢٩٠] [الفلق] :

ومنها وادي شظى ويسمى بالفلق : وهو واد عظيم الفضل ، ولكثير من الأولياء به استئناس وروح كشعب عامر ، ولذا يذكرونهما في قصائدهم ، وفيه قبر الشيخ الولي المحبوب الولي لله أبي السعود ابن هبة الله ، وبأعلى جبله إلى جهة المعلا قبر الشيخ الولي البادي المعروف بالعبادي ، وفي أقصى سفله بالمكان المعروف بجبل ولي ضريح سيدي العارف بالله تعالى تاج الدين ، ويقرب منه ضريح الشيخ الولي العادلي رحم الله الجميع وأمدنا بمددهم الفائض الوسيع.

[٢٩١] [قبر السيدة ميمونة رضي‌الله‌عنها] :

وعن المقابر التي في الحرم : قبر السيدة أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث زوج النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم ، وخالة عبد الله بن عباس رضي‌الله‌عنهم ، وهو

معروف بطريق وادي مرّ ، بمحل يقال له سرف ـ بفتح سين مهملة وكسر راء ـ كذلك على سبعة أميال على الأقرب ويعرف الآن بالنوارية.

وقال الفاسي: ولا أعلم بمكة ولا فيما قرب منها قبر أحد ممن صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى هذا القبر ؛ لأن الخلف يأثره عن السلف.

ومما يقرب من هذا المحل قبر على الجبل المشرف على البرقة بوادي مر ، يزعم أهله أنه قبر مريم بنت عمران ، ويقصدونه بالزيارة والنذور ويذبحون عنده ، ولا يعلم لهم في ذلك سند ولا سلف. والله أعلم بحقيقته.

[٢٩٢] [**قبر ابن عباس رضي الله عنهما بالطائف**] :

ومما يقرب من الحرم من المقابر الشريفة : قبر سيدنا عبد الله بن عباس وترجمان القرآن رضي الله عنهما بالطائف ، وحوله قبور مباركة ، فينبغي زيارته وما حوله.

قال صاحب القاموس : والطائف العسس ، وبلاد ثقيف في واد : أوّل قراها القيم ، وآخرها الوهط ، سميت بذلك ؛ لأنها طافت على الماء في الطوفان ؛ أو لأن جبريل طاف بها على البيت ؛ ولأنها كانت بالشام فنقلها الله تعالى إلى الحجاز بدعوة إبراهيم عليه السلام ؛ أو لأن رجلا من الصّدف أصاب دما بحضرموت ففر إلى وجّ وحالف مسعود بن معتّب ، وكان له مال عظيم ، فقال : هل لكم أن أبني طوفا عليكم يكون لكم ردءا من العرب؟ فقالوا : نعم فبناه ، وهو الحائط المطيف به. أهـ.

ومعنى القول الثاني : أن جبريل عليه‌السلام اقتلعها من محلها على ما ذكره بعض المفسرين.

الثالث : أنه اقتلعها من الشام وطاف بها سبعا ، إجابة لقول دعوة إبراهيم عليه‌السلام (وَإِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَراتِ).

وقال صاحب المطالع : الطائف هو وادي وجّ ، هو ـ بفتح الواو والجيم المشددة ـ ، سمي باسم وجّ بن عبد الحق من العمالقة.

وفي القاموس : و (وجّ) اسم واد بالطائف ، لا بلد به.

وعن الزبير بن العوام رضي‌الله‌عنه ، أن رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال : (إن صيد وجّ وعضاهه حرام محرم لله عزوجل) قال النووي : وإسناده ضعيف ، وذكر الطبري في تحريم صيده احتمالين : أن يكون على وجه الحمى ـ ، ثم قال : وعليه العمل عندنا ، أو تكون حرمته في وقت ثم نسخ.

وقال النووي في الإيضاح : ويحرم صيد وجّ ، لكن لا ضمان فيه.

وأما مذهبنا فلا يحرم فيه شيء ، كالمدينة المنورة بخلاف مكة.

[٢٩٣] [**فضل الطائف**] :

ومن فضائل الطائف : ما جاء في قوله تعالى : (وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ) أي بفتح مكة والطائف ، وقال المفسرون : (وَقالُوا لَوْ لا نُزِّلَ هذَا الْقُرْآنُ عَلى

رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ)، إنهما مكة والطائف ، وفي الرجل قولان : هو عتبة بن عبد شمس ، أو مسعود بن متعب الثقفي.

[٢٩٤] [أحكام وآداب زيارة القبور] :

تتمة : يستحب زيارة المقابر مطلقا ، وقيل في كل أسبوع من غير أن يطأ القبور ، وأفضل الأيام لها : يوم الجمعة ، والسبت ، والاثنين ، والخميس.

قال محمد بن واسع : بلغني أن الموتى يعلمون بزوّارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده ، ويستحب أن يمشي حافيا ذكره المشايخ.

وقال الملا عليّ وغيره : لم يثبت فيه شيء من السنة.

أقول: بل ثبت ذلك كما في أذكار النووي ، وفي سنن أبي داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، بإسناد حسن عن بشر ـ بن معبد ـ المعروف بالخصاصية ـ رضي الله عنهما قال : بينما أنا أماشي النبي صلى الله عليه وسلم نظر فإذا رجل يمشي بين القبور عليه نعلان ، فقال : (يا صاحب السّبتيتين الق سبتيّتيك ....) ، وذكر تمام الحديث ، وكما أشار إلى ذلك القرطبي في تذكرته بقوله : ويخلع نعليه كما جاء في الحديث.

قال الشيخ حسن الشرنبلالي : والسنة زيارتها قائما ، والدعاء عندها قائما كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج إلى البقيع.

[٢٩٥] [السلام على أهل القبور] :

وإذا أتى القبر فالأولى أن يأتي من قبل رجليه لا رأسه ؛ لأنه أتعب لبصره إن أمكن ، وإلا فقد قرأ صلى الله عليه وسلم أول سورة البقرة عند رأس الميت

وآخرها عند رجليه ، كذا قال الملا علي ، وليس فيه دليل على الإتيان من قبل الرأس ، ويقف ويستقبله ويحترمه كما يحترمه في الحياة ويقول : «السلام عليكم دار قوم مؤمنين. وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، أسأل الله لي ولكم العافية».

وأخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت يا رسول الله كيف أقول إذا دخلت المقابر؟ قال : (قولي : السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله ... الخ) وقيل : يقول : السلام عليكم ، والصحيح الأول ، ثم يدعو قائما طويلا ، وإن جلس يجلس بعيدا منه ، أو قريبا بحسب مراتبه في حال حياته ، ويقرأ من القرآن ما تيسر له من الفاتحة ، وأول البقرة إلى المفلحون ، وآية الكرسي ، و (آمَنَ الرَّسُولُ) ، ويس ، وتبارك ، وسورة القدر ، وألهاكم ، والكافرون ، والإخلاص اثني عشر أو إحدى عشر ، أو سبعا ، أو ثلاثا ، والمعوذتين ، ثم يقول : اللهم أوصل ثواب ما قرأته إلى فلان أو إليهم ، ولا يتساهل في قراءة ما تيسر وفي الدعاء ، فإن أجر ذلك عظيم ، وروى الدارقطني والسلفي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من مرّ بالمقابر وقرأ قل هو الله أحد ، إحدى عشر مرة ، ثمّ وهب أجرها للأموات أعطي من الأجر بعدد الأموات) ، وفي تذكرة القرطبي : وروى من حديث أنس ـ خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا قرأ المؤمن آية الكرسي وجعل ثوابها لأهل القبور ،

أدخل الله تعالى في كل قبر من المشرق والمغرب أربعين نورا ، ووسع الله عليهم مضاجعهم ، وأعطى الله للقارئ ثواب ستين نبيا ، ورفع الله له بكل ميت عشر حسنات) وعن أنس أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف الله عنهم ، وكان له بعدد من فيها حسنات).

وأخرج ابن أبي شيبة عن الحسن رضي الله عنه قال : (من دخل المقابر فقال : اللهم رب الأجسام البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة ، أدخل عليها روحا من عندك ، وسلاما مني ، أستغفر له كل مؤمن مات منذ خلق الله آدم) أخرجه ابن أبي الدنيا بلفظ : (كتب له بعدد من مات من ولد آدم إلى يوم القيامة الساعة حسنات).

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : من دخل المقابر واستغفر لأهل القبور وترحم على الأموات ، فكأنما شهد جنازتهم والصلاة عليهم.

[٢٩٦] [الجلوس على القبر] :

ويكره الجلوس على القبر إلا للقراءة وهو المختار ، ويكره وطؤه.

قال الكمال : وحينئذ فما يصنعه الناس من دفن أقاربه وقد دفن حواليهم خلق ، من وطء تلك القبور إلى أن يصل إلى قبر قريبه مكروه. انتهى.

وقال قاضيخان : ولو وجد طريقا وهو يظن أنه طريق أحدثوه لا يمشي في ذلك ، وإن لم يقع في ضميره لا بأس بأن يمشي فيه. انتهى.

[٢٩٧] [النوم على القبر] :

ويكره النوم عليها ، وقضاء الحاجة ، وقلع الحشيش النابت فيها إذا كان رطبا ؛ لأنه يسبح الله تعالى فيؤنس الميت ، وتنزل الرحمة .

[٢٩٨] [الاتعاظ والتذكر ، لزائر القبور] :

وينبغي لمن زار مقابر مكة : أن ينوي زيارة من دفن فيها من الصحابة والتابعين وأفاضل التابعين الأولياء والسلف الصالح ، فيزورهم ويتبرك بهم .

وينبغي التردد إلى المقابر ؛ لأن فيه نفعا عظيما ، وخيرا جسيما ، أخرج ابن ماجه عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، فزوروها ، فإنها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة).

[٢٩٩] [رقة القلوب في زيارة القبور] :

وفي رواية الحاكم عن أنس : (فإنها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة ، لا تقولوا هجرا) يعني سوءا ، قال القرطبي : قال العلماء رحمهم الله تعالى : ليس للقلوب أنفع من زيارة القبور ، وخاصة إن كانت قاسية. انتهى.

فينبغي لمن عزم على الزيارة : أن يتأدب بآدابها ، ويحضر قلبه في إتيانها ، ولا يكون حظه منها التطواف على الأجداث فقط ، فإن هذه حالة تشاركه فيها بهيمة ، ونعوذ بالله من ذلك ، بل يقصد بزيارته وجه الله تعالى ، وإصلاح فساد قلبه ، أو نفع الميت بما يتلو عنده من القرآن.

[٣٠٠] [النية في الزيارة] :

ويزور كما تقدم ، ثم يعتبر بمن صار تحت التراب ، وانقطع عن الأهل والأحباب ، بعد أن قاد الجيوش والعساكر ونافس الأصحاب والعشائر ، وجمع الأموال والذخائر ، فجاءه الموت في وقت لم يحتسبه ، وهول لم يرتقبه ، فليتأمل الزائر حال من مضى من إخوانه ، ودرج من أقرانه الذين بلغوا الآمال ، وجمعوا الأموال ، كيف انقطعت آمالهم ، ولم تغن عنهم أموالهم ، ومحا التراب محاسن وجوههم ، وافترقت في القبور أجزاؤهم ، وترمّل بعدهم نساؤهم ، وشمل الذل أولادهم ، واقتسم غيرهم طريقهم وقلادهم ، وليتذكر ترددهم في المآرب ، وحرصهم على نيل المطالب واتجارهم لمواتات الأسباب ، وركونهم إلى الصحة والشباب.

وليعلم ميله إلى اللهو واللعب ، وغفلته عما بين يديه من الموت الفظيع ، والهلاك السريع كغفلتهم ، وأنه لا بد صائر إلى مصائرهم ، وليحضر بقلبه ذكر من كان مترددا في اعراضه ، وقد سالت عيناه ، وتصول ببلاغة نطقه ، وقد أكل الدود لسانه ، وتضحك المواتات دهره ، وقد أبلى التراب أسنانه ، وليتحقق أن حاله كحاله ، ومآله كمآله.

[٣٠١] [خصائص الحرم] :

وأما خصائصه فكثيرة : منها : أنه لا يدخله أحد إلا بإحرام ، وذلك واجب عندنا.

ومنها : تحريم صيده على سائر الناس ، حتى يجب إرساله ولو أدخل من الحل ، ويضمن بإتلافه ، ولا يحل أكله.

ومنها : تحريم قطع شجره وحشيشه عندنا.

ومنها : أن المشرك لا يدخله ولو مارا عند الشافعي وجمهور الفقهاء ما عدا أبا حنيفة ، فإنه يجوز .

[٣٠٢] [ما يحرم فعله في الحرم] :

ومنها : تحريم دفن المشرك ، ولو دفن ينبش. كذا قال ابن ظهيرة .

ومنها : تحريم إخراج أحجاره وترابه إلى الحلّ سواء كثر أو قلّ عند الشافعي رحمه‌الله ، وعندنا إنما يحرم إخراج الكثير المؤدي إلى التخريب، وأما القليل فلا بأس به ، ولا يدخل من تراب الحل وأحجاره شيء في الحرم ، قال الملا علي : كذا أطلقه في الكبير ، ولعله مذهب الشافعي اشتبه عليه ، وإلا فإذا جاز الإخراج مع احتمال وقوع شيء من الضرر ، فالأولى جواز إدخال شيء فيه مما ينتفع به.

ومنه : إدخال الأسطوانات في المسجد الشريف من نحو الاسكندرية وغير ذلك.

ومنها : لا يجوز ذبح شيء من الهدايا إلا فيه جبرا كان أو شكرا ، وأما إخراج اللحم منه والتصدق به على غير فقير به ، فجائز.

[٣٠٣] [لقطة الحرم]:

ومنها: أن لقطته لا تملك عند الشافعي، وعندنا هي كغيرها لا تحل لآخذها إلا بعد سنة.

ومنها: تغليظ الدية بالقتل عنده أيضا.

ومنها: النافلة التي لا سبب لها لا تكره في أوقات الكراهة عند الشافعي، ومذهبنا والمالكية: تكره فيه كغيره.

ومنها: أنه إذا نذر قصده لزمه الذهاب إليه بحج أو عمرة.

[٣٠٤] [مضاعفة الأجر والسيئة في الحرم]:

ومنها: تضعيف الأجر بالصلاة فيه، كما رجحه جماعة من أهل العلم، وكذا غيرها من الطاعات، وكذا السيئات على قول بعض، كما تقدم.

[٣٠٥] [من همّ بسيئة في الحرم]:

ومنها: أن الإنسان إذا همّ بسيئة فيه يؤاخذ بها، وإن كان بعيدا كما يروى من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، أنه قال: «لو أن رجلا همّ فيه بإلحاد وهو بعدن أبين، أذاقه الله عذابا أليما» وبه خصّ حديث الصحيحين: (وإن همّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة، وإن همّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة)، فيكون هذا في غير الحرم.

ومنها: وجوب قصده على طائفة من الناس في كل سنة لإقامة فريضة.

[٣٠٦] [أمن الحيوانات بالحرم] :

ومنها ائتلاف الظباء والسباع فيها ، ذكره المحب الطبري ، بل قيل : إن الخارج يتبع الصيد فإذا دخل الحرم تركه ، كذا نقله ابن الحاج عن بعض المفسرين.

أقول وقد روي عن أبي سفيان بن حرب ، وصفوان بن أمية ، أنهما رأيا ذئبا يطلب ظبيا ، فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب فعجبا لذلك! فقال الذئب : أعجب من ذلك : محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار.

ومنها : أنه جرى مثل ذلك لأبي جهل وأصحابه.

[٣٠٧] [حصول الأمن في الحرم] :

ومنها : حصول الأمن لمن التجأ إليه عندنا ، وتقدم معناه في الكلام على الكعبة.

ومنها : لا يحل حمل السلاح فيه لغير ضرورة عند مالك والشافعي رحمهماالله تعالى. ومنها : سيل الحل لا يدخله ، وإن انتهى إليه وقف. قاله في الجامع اللطيف .

[٣٠٨] [فضل أهل مكة] :

وأما فضل أهله فعظيم، عن عبد الله بن عمر بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال : لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد على أهل مكة ،

قال : (أتدري إلى من أبعثك؟ إلى أهل الله تعالى [٢]) ، زاد الأزرقي : (فاستوصوا بهم خيرا) يقولها ثلاثا.

[٣٠٩] [تكريم أهل مكة] :

وعن وهب بن منبه يروي : أن الله تعالى يقول (من أمّن أهل الحرم استوجب بذلك أماني ، ومن أخافهم فقد أخفرني في ذمتي ، ولكل ملك حيازة مما حواليه ، وبطن مكة حوزتي ، [التي اخترت لنفسي دون خلقي أنا الله ذو بكة ، أهلها خيرتي وجيران بيتي] وعمّارها وزوارها وفدي وأضيافي ، وفي كنفي وأماني ، ضامنون عليّ في ذمتي وجواري).

وروى الفاكهي عن عبد الملك بن عباس بن جعفر : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أول من أشفع له أهل المدينة وأهل مكة والطائف).

[٣١٠] [فضل الموت بمكة]

وأخرج أبو حاتم من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أنا أول من تنشق عنه الأرض ، ثم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم آتي أهل البقيع فيحشرون معي ، ثم أنتظر أهل مكة حتى نحشر بين الحرمين).

وجاء في حديث : (إن سفهاء مكة حشو الجنة) ، كذا نقل عن أبي العباس الميورقي ، قال القسطلاني : لم أقف عليه.

ووقع بين عالمين منازعة في الحرم المكي في تأويل الحديث وسنده ، فطعن أحدهما في سنده ومعناه ، فأصبح وقد طعن أنفه واعوج ، وقيل له : إي والله ،

سفهاء مكة من أهل الجنة سفهاء مكة من أهل الجنة ثلاثا. فحصل له روع وخرج إلى الذي ينازعه وأقرّ على نفسه، لتكلّمه فيما لا يعنيه ولم يحط به خبرا. قال الفاسي: بلغني أن الرجل المنكر للحديث: هو الإمام تقي الدين محمد ابن إسماعيل بن الصيف اليمني الشافعي، نزيل مكة ومفتيها، وأنه كان يقول: إنما الحديث أسفاء مكة، أي المحزونون فيها على التقصير. أهـ.

[٣١١] [العبد بين الرجاء والخوف]:

واعلم يا أخي أن فضل الله وعظمته ورحمته واسعة، ولكن ذلك لمن ختم الله له بالسعادة، وهي أمر مغيب لا يعلمه إلا الله تعالى، فتنبه لذلك ولا تغتر! فإنه ما عظم الرجاء في الله، إلا ولازمه كمال الخوف من الله، كما هو طريق العارفين أهل الله.

قال سيدي عبد القادر الجيلاني قدس الله سره الرباني: «أعطاني الله ثلاثين عهدا وميثاقا أن لا يمكر بي، فقيل له: فهل أمنت بعد ذلك؟، قال: لا بل حالي بعد العهد كقبله».

وقد صلّى عليه الصلاة والسلام بعد نزول آية الغفران حتى تورمت قدماه، فقالت عائشة رضي الله عنها: فداك أبي وأمي! أما نزلت في حقك (لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ). قال: (أفلا أكون عبدا شكورا). فينبغي يا أخي إن صح ذلك أن تقابله بالشكر على ما هنالك، وتسلك لطلبه أحسن المسالك، ولا تتجرأ فتهوي في المهالك.

[٣١٢] [تميز أهل مكة بالطواف] :

ومن فضائلهم لكونهم أكثر طوافا من غيرهم ، ما ذكره الدميري في كتابه الديباجة في شرح ابن ماجه عن الشيخ فخر الدين النووي قال : كنت يوما بمكة بين المغرب والعشاء مسند الظهر إلى مقام المالكية ، مستقبل القبلة ، وإذا بفقير رثّ الهيئة جلس إليّ ، مما يلي كتفه الأيسر ، وقال : سلام عليك ، فرددت السلام عليه ، وكنت منشغلا بالذكر ، فقال لي : أنت مجاور هنا؟ قلت : نعم. قال : كم لك هنا؟ فوجدت عليه في نفسي ، وقلت : ما حملك على السؤال؟ ورجعت إلى ما كنت عليه من الذكر ، فسكت ، ثم قال : ما رأيت هاهنا من الآيات منذ أقامك الله؟ فانزعجت منه ، وقلت : أي آية أعجب من هذا البيت! لا يخلو من طائف في ليل ولا نهار مع ما الناس فيه من الاشتغال ، وكان الطواف إذ ذاك عاطما بالبيت ، فسكت ، وعدت على ما كنت عليه من الذكر ، ثم قال : أتعجب من الطائفين بالبيت ، إنما العجب ممن يطوف به البيت [1] ، فنهض قائما وانصرف عني في صورة المنزعج ، وقلت في نفسي : إن هذا الرجل أحمق ، سمع هذا القول مما تقدم فذكره على لساني ، فجلست متفكرا فيه ، وذهب ما كنت فيه من الذكر. فرفعت رأسي وإذا بالبيت يدور بالطائفين دورانا بأشد ما يكون من الدوران ، فقمت يومئذ باكيا مستغفرا ودخلت الطواف لأجل الرجل ، فلم أجد له خبرا.

وروي عن بعض الأخيار : أنه كان في الطواف ، وإذا بصبي قد أقبل واستلم الحجر يطوف ، فلما حاذى البيت أرخى البيت رأسه وقبّل رأس الصبي ، فعجب من ذلك! وقال لي : منذ سنين أكثر الطواف بك ولم تفعل بي ذلك ، فقالت الكعبة : هذا من أولادي أو كما قيل.

والحاصل : أن فضلهم عظيم ، وقد تقدم منه كثير في فضل الحرم بمكة وغيرها.

[٣١٣] [مجاورة البيت] :

تتمة : وإذا علم فضل مكة وأهلها ، وما فيها من المآثر الشريفة ، والمنازل المنيفة ، فيتعين حرمتها وتعظيمها ، ولا تكره المجاورة بها ، بل تستحب على ما ذهب إليه أبو يوسف ومحمد ، وعليه عمل الناس ، قال في المبسوط : وعليه الفتوى ، وهو مذهب الشافعي ، وأحمد ابن حنبل ، وابن القاسم من المالكية وأكثر العلماء ، وعدّ الطبري من الصحابة من الذين جاوروا بها أربعة وخمسين ، ومن الذين ماتوا ستة عشر ، قال : وجاورها من كبار التابعين جم غفير.

وقيل : تكره ، وإليه ذهب أبو حنيفة ، ومالك ، وجماعة من المحتاطين ؛ خوفا من الملل ، والبرم في ذلك المقام ، والإخلال بما يجب من حرمته ورعايته ، وخوف اجتراح المعاصي والآثام؛ ولذلك كان عمر رضي‌الله‌عنه يأمر الحاج بالرجوع إلى وطنه ؛ ولما روي أن الحسنة تضاعف إلى مائة ألف حسنة ، وأن

السيئة كذلك، وقال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «ما من بلدة يؤاخذ العبد فيها بالهمة قبل العمل إلا مكة».

وقال عمر رضي الله عنه: «لخطيئة أصيبها بمكة أعز علي من سبعين خطيئة بغيرها».

وقد اتخذ ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ لأجل ذلك الطائف دارا، وقال: «لأن أذنب خمسين بركية أحبّ إلى من أن أذنب ذنبا واحدا بمكة». و (ركية موضع بالطائف.

وأجاب الأولون: بأن ما يخاف من سيئة، فيقابل ما يرجى من حسنة، قال الملا علي: ثم هذا كله باعتبار المخلطين لا المخلصين ممن تضاعف لهم الحسنات، من غير ما يحبطها من السيئات، فإن الإقامة من أفضل العبادات بلا نزاع، فالمقام بمكة حينئذ هو الفوز العظيم بالإجماع، لكن لا يقدر على حق هذه الإقامة ورعاية الحرمة إلا الأفراد من عباد الله المخلصين، من مقتضيات الطباع، وهذا كما قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ ما هُمْ﴾، فلا يبنى حكم الفقه باعتبارهم، ولا يذكر حالهم قيدا في جواز غيرهم، إذ لا يقاس الحدادون بالملوك ونحوهم، ولا عبرة بما يقع للنفوس من الدعوى الكاذبة، والمبادرة إلى دعوى الملكة والقدرة على شروط المجاورة، فإنها لأكذب ما يكون إذا حلفت، فكيف إذا ادّعيت، وما أيسر الدعوى وما أعسر المعنى، وهذا قول الإمام الأعظم بكراهة المجاورة في الحرم

المحترم، بالنسبة إلى زمانه الأقدم، ولو شاهد ما أدركناه من أحوال المجاورين في هذه الأيام، وما اختاروه من أكل وظائف الحرم، وما ظهر عليهم من عدم القيام بتعظيم المقام، لقال بحرمة المجاورة من غير شك وشبهة في هذا الكلام، وحسبنا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ونحن من الملتجئين إلى بابه، المضطرين إلى جنابه، المستحقين لعتابه وعقابه، الراجين إلى عفوه وكرمه على بابه، القائلين حال دعائه وخطابه:

إلى بابك الأعلى نمد يدا الرجا ومن جاء هذا الباب لا يخشى الردا

أ. هـ. كلامه.

وهو ترجيح لمذهب الإمام الأعظم، وهو الأكمل والأسلم، فأين من يقوم بحرمة هذا الحرم المحترم؛ ويتأدب لمكانته وحقه الأعظم، فقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يقضي حاجته، ركب ناقته إلى المغمس، وبلغ من تعظيم بعض التابعين أنه كان لا يقضي حاجته فيه، وقد تقدم.

وممن بالغ في تفضيل الحرم: الماوردي صاحب الحاوي الكبير من الشافعية، فقال: يحرم الاستنجاء بأحجار الحرم، وهو وإن كان ضعيفا، ففيه إشعار بتعظيمه، وإيذان بتبجيله وتكريمه. وهذا حكم المجاورة بمكة.

[٣١٤] [مجاورة المدينة المنورة]:

وحكمها بالمدينة الشريفة كذلك، إلا أنها بمكة أفضل عند جمهور الأئمة خلافا لمالك وبعض الشافعية، قال الملّا علي: الإجماع على أن الموت أفضل

بالمدينة ، والمجاورة سبب الموت فيها ، فتكون أفضل من هذه الحيثية ، وإلا فمن المعلوم أن تضاعف الحسنة في المسجد الحرام أكثر من مسجد المدينة ، وأن نفس المدينة لا تضاعف فيها ، بخلاف حرم مكة . انتهى.

وذهب كثير من العلماء : إلى أن المجاورة بها أفضل منها بمكة ، وإن قلنا لكثرة ثواب العمل بمكة ؛ لما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا يصبر على لأواء المدينة وشدتها أحد من أمتي إلا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة). واللأواء بالمد : الشدة والجوع ، والويت : الشك على الأظهر ؛ لأن هذا الحديث رواه جمع من الصحابة ، ويمتنع أن شك الكل أو رواتهم ، بل الأظهر أنها للتعتيم ، فيكون المعنى : شهيدا لبعض ، وشفيعا لآخرين منهم ، أو شهيدا للمطيعين ، وشفيعا للعاصين ، أو شهيدا لمن مات في حياته ، وشفيعا لمن مات بعد وفاته ، أو غير ذلك كما في المواهب اللدنية.

وفي الصحيحين : (اللهم حبّب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، وصححها ، وبارك لنا في صاعها ومدّها ، وانقل حماها إلى الجحفة) ، وفي رواية : (بل أشد) ، وقد أجيبت دعوته حتى كان يحرك دابته إذا رآها من جهته.

وروى الترمذي ، وابن ماجه ، وابن حبان في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من استطاع منكم

أن يموت بالمدينة فليمت بها ، فإني أشفع لمن يموت بها). ولا يخفى أن هذه الاستطاعة إنما تحصل غالبا لمن اتخذ المدينة الشريفة مسكنا وموطنا إلى الممات.

وروى مسلم من حديث سعد : (يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه! هلم إلى الرخاء! والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، والذي نفسي بيده لا يخرج منهم أحد رغبة عنها إلا أخلف الله خيرا منه).

وروى البخاري من حديث أبي هريرة رضي‌الله‌عنه : أن رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم قال : (إن الإيمان ليأرز إلى المدينة ، كما تأرز الحية إلى جحرها [٣]) أي : ينقبض وينضم ويلتجئ ، مع أنها أصل في انتشاره ، فكل مؤمن له من نفسه سائق إليها في جميع الأزمان ؛ لحبه في ساكنها عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام. في قوله وأكرم بسكانها ، ولو قيل في بعضهم فقد حظوا بشرف المجاورة بهذا الحبيب الخليل ، وقد ثبت لهم حق الجوار ، وإن عظمت إساءتهم فلا يسلب عنهم اسم الجار ، ولم يخص جارا دون جار ، وكل ما احتج به محتج من رمي الجمار بعض عوامّهم السنة بالابتداع وترك الإتباع ، فإنه إذا ثبت ذلك في شخص منهم ، فلا يترك إكرامه ، ولا ينقص احترامه ، فإنه لا يخرج عن حكم الجار ولو جار ، ولا يزول عنه بشرف مساكنته في الدار كيفما دار ، بل يرجى له أن يختم له بالحسنى ، ويمنح بهذا القرب الصوري قرب المعنى ، ولله در ابن جابر رضي‌الله‌عنه حيث قال يمدح أهل المدينة :

هناؤكم يا أهل طيبة قد حقا ... فبالقرب من خير الورى حزتم السبقا

فلا يتحرك ساكن منكم إلى ... سواها وإن جار الزمان ولو شقا

فكم ملك رام الوصول لمثل ما ... وصلتم فلم يقدر ولو ملك الخلقا

فبشراكم نلتم عناية ربكم ... فها أنتم في بحر نعمته غرقا

ترون رسول الله في كل ساعة ... ومن يره فهو السعيد به حقا

متى جئتم لا يغلق الباب دونكم ... وباب ذوي الإحسان لا يقبل الغلقا

فيسمع شكواكم ويكشف ضركم ... ولا يمنع الإحسان حرا ولا رقا

بطيبة مثواكم وأكرم مرسل ... يلاحظكم فالدهر يجري لكم وفقا

وكم نعمة لله فيها عليكم ... فشكرا ونعم الله بالشكر تستبقا

أمنتم من الدجال فيها فحولها ... ملائكة يحمون من دونها الطرقا

كذاك من الطاعون أنتم بمأمن ... فوجه الليالي لا يزال لكم طلقا

فلا تنظروا إلا لوجه حبيبكم ... وإن جاءت الدنيا ومرت فلا فرقا

حياة وموت تحت رحماه أنتم ... وحشر فستر الجاه فوقكم ملقى

فيا راحلا عنها لدنيا تصيبها ... أتطلب ما يفنى وتترك ما يبقى؟

أتخرج من حوز النبي وحرزه ... إلى غيره سفّيه مثلك قد حقا

لئن سرت تبغي من كريم إعانة ... فأكرم من خير البرية من تلقى؟

هو الرزق مقسوم فليس بزائد ... ولو سرت حتى كدت تخترق الأفقا

فكم قاعد قد وسع الله رزقه ... ومرتحل قد ضاق بين الورى رزقا

فعش في حمى خير الأنام ومت به إذا كنت في الدارين تطلب أن ترقى
إذا قمت فيها بين قبر ومنبر بطيبة فاعرف أين منزلك الأرقا
لقد أسعد الرحمن جار محمد ومن جار في ترحاله فهو لا يشقى

أجابوا عن مزيد المضاعفة : بأن أسباب التفضيل لا تنحصر في ذلك ، فإن الصلوات الخمس بمنى للمتوجه لعرفة أفضل منها بمسجد مكة ، انتفت عنها المضاعفة ، إذ في الاتباع ما يربو عليها ؛ ولذا قال عمر ـ رضي الله عنه ـ بمزيد المضاعفة لمسجد مكة ، مع قوله بتفضيل المدينة ، وعن الحج بما جاء في فضل الزيارة ، والمسجد ، والإقامة بعد النبوة بالمدينة ، وكانت أقل من مكة ، على القول به ، فقد كانت سببا لإعزاز الدين وإظهاره ، ونزول أكثر الفرائض وإكمال الدين ، حتى تردد بها جبريل عليه السلام ، ثم استقر بها صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة ، ولهذا قيل لمالك أيها أحب إليك المقام هنا يعني المدينة أو بمكة؟ فقال : هاهنا ، وكيف لا أختار المدينة وما بها طريق إلا سلك عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجبريل ينزل عليه من عند رب العالمين في أقل من ساعة. انتهى.

وأكثر هذه الكلام من المواهب اللدنية ، وإنما أطلت الكلام في ذلك وإن كان مذهب إمامنا أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ تفضيل المجاورة بمكة على المدينة ؛ لأن ميل كل نفس حيث حبيبها ، وما أحسن قول أبي نواس رحمه الله :

عليّ لربع العامرية وقفة ليملي عليّ الشوق والدمع كاتب

ومن مذهبي حب الديار لأهلها ... وللناس فيما يعشقون مذاهب

هذا ... وكلا الحرمين فضلهما عظيم ، والمجاورة بهما خير جسيم ، لمن هو على طريق مستقيم ، فينبغي للمجاور أن يجتهد في الخيرات ، ويمتنع عن المنكرات ، ويترك كثيرا من المباحات التي لا تليق بأشرف الأمكنات ، ويتأدب بأدب السادات ؛ ليفوز بالخير والسعادات.

[٣١٥][**المحروم بمكة**] :

قيل من كان بمكة وفاته ثلاثة أشياء فهو محروم : من مضى عليه يوم ولم يطف بالكعبة ، ومن حلق رأسه من غير عمرة ، ومن صام ولم يجعل فطره على زمزم.

فائدة متممة وليست زائدة : حد الحرم الشريف من طريق المدينة دون التنعيم ، على ثلاثة أميال من مكة ، ومن الطائف والعراق على سبعة أميال ، ومن طريق جدة عشرة ، ومن الجعرانة تسعة، وقد نظمها العلامة ابن الملقن رحمه الله :

وللحرم التحديد من أرض طيبة ... ثلاثة أميال إذا رمت إتقانه

وسبعة أميال عراق وطائف ... وجدة عشر ثم تسع بجعرانه

ومن يمن سبع بتقديم سينها ... وقد كملت فاشكر لربك إحسانه

هذا ... وقد كمل الكلام على أماكن الإجابة ، فأسأل الله تعالى كمال الإنابة ، وأن يجعل شغلي به عين الإثابة ، وأن يمتعني بحبه قبل يوم الإيابة، وأن يغفر لي ولوالدي ولمشايخي والمسلمين ، وأن يرزقنا حسن الخاتمة مع النظر إلى وجهه الكريم بمنّه وكرمه.

وكان الفراغ من كتابتها على يد الفقير عبد الله المنصوري يوم الجمعة المبارك شهر رمضان عام أربعة وثمانين ومائتين وألف من هجرته [١٢٨٤ هـ] صلى الله عليه وسلم والحمد لله رب العالمين.

[٣١٦] [فضل جدة] :

فائدة في الكلام على فضل جده : روى الفاكهي عن عبد الله بن عمرو ابن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مكة رباط ، وجدة جهاد).

وعن ابن جريج قال سمعت عطاء يقول : «إنما جدة خزانة مكة ، إن ما يؤتى به إلى مكة فلا يخرج به منها» ، ثم قال : ـ أعني ابن جريج ـ : «[إني لأرجو] أن يكون فضل مرابطي جدة على سائر المرابطين كفضل مكة على سائر البلدان» .

وعن عباد بن كثير ، أنه قال : «الصلاة بجدة سبعة عشر ألف ألف صلاة ، والدرهم فيها بمائة ألف ، وأعمالها بقدر ذلك ، يغفر للناظر فيها مدّ بصره مما يلي البحر» .

وعن فرقد السبحي أنه قال : إني رجل أقرأ هذه الكتب ، وإني لأجد فيما أنزل الله من كتبه : «جدة أو [جديدة] يكون بها قتلى وشهداء ، لا شهداء يومئذ على وجه الأرض أفضل منهم» .

وعن بعض المكيين : أن الحبشة جاءت إلى جدة غزاة في البحر ، وأميرهم عبد الله بن محمد بن إبراهيم المخزومي. انتهى.

قال [الفاسي] رحمه‌الله : عبد الله بن محمد [هذا] والي مكة للرشيد العباسي ، فيكون المراد سنة ثلاث وثمانين ومائة .

وأول من جعل جدة ساحلا لمكة : عثمان بن عفان في سنة ست وعشرين من الهجرة ، وكانت الشّعيبة ساحل مكة قبل ذلك.

وعن ابن جبير : أنه رأى بجدة أثر سور محدق ، وأن بها مسجدين ينسبان إلى عمر بن الخطاب ، أحدهما : يقال له مسجد الآبنو ، وهو معروف إلى الآن ، والآخر غير معروف ، ولعله ـ والله أعلم ـ المسجد الذي تقام فيه الجمعة وهو من عمارة المظفر صاحب اليمن. انتهى.

ويروى أن قبر حوا بجدة ، والله أعلم ، انتهى من الجامع اللطيف .

وصلى الله على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه

وسلم

فهرس المحتويات